دراسات في تأصيل المعربات والمصطلح

من خلال دراسة :
«تحقيق تعريب الكلمة الأعجمية» لابن كمال باشا المتوفى 940 هـ

القسم الثاني(**)

دراسة وتحقيق :
د. حامد صادق قنيبي
قسم الدراسات الاسلامية والعربية
جامعة الملك فهد للبترول والمعادن
الظهران.

الباب الثاني : في التعريب والمصطلحات

أولا :
رسالة ابن كمال في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة
«في التعريب»

اللغة أداة اتصال بالتجربة الانسانية، وهذه التجربة عرضة للتغاير والاختلاف بين مجتمع وآخر، وبين عصر وآخر إلاّ أنها على كلا الحالين تحدد رؤية أصحابها لحقائق الكون والحياة. ولقد أثبتت العربية مقدرتها على نقل الفكر الانساني، وتقبل الروافد الحضارية، واستعدادها لتعريب الألفاظ والدلالات.

وقد أشهد هذا لها بالمرونة، ولأهلها بالرقي، وأبعدهم عن الجمود بما أضافوا للعربية من مفردات احتاجوا إليها كما أعطوا غيرهم ما ينقصهم.. ولا عجب فهذه سنة اللغات اقتراض وتبادل.

ولمصطلح «التعريب» أكثر من معنى غير أن ما نعنيه هنا هو تعريب الكلمة الأعجمية، وقوامه : نقل الكلمة مع عزلها الأجنبي ومحاولة إنزالها على صيغ العربية وأوزانها ويقتضي هذا الانزال بعض الابدال(*) والتغيير في بنية الكلمة إما بالزيادة أو الحذف أو إبدال الحركة وأحيانا الابقاء

(*) عرف النحويون واللغويون القدامى الابدال بأنه إقامة حرف مكان آخر في الكلمة (انظر : الصاحبي في فقه اللغة ص 173، والمزهر1 / 460، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ص 204).
(**) انظر القسم الأول من البحث في العدد 30.

على الأصل. وجاء في المعجم الوسيط (مادة ـ ع رب) : «المعرّب : هو اللفظ الأجنبي الذي غيره العرب بالنقص أو الزيادة أو القلب» وعرّفه عبد الحميد حسن (الألفاظ اللغوية، ص 65) : «المعرّب : هو الكلمات التي نقلت من الأجنبية إلي العربية، سواء وقع فيها التغيير أو لم يقع».

لقد شاع العرف بين العلماء أن الكلمة المنقولة من لغة أخرى تنقل ومعها معناها في اللغة الأصلية قبل أن تعرب، قال التهانوي (ت 1158 هـ) ـ الكشاف ص 204 ـ : «المعرّب عند أهل العربية : لفظ وضعه غير العرب لمعنى استعمله العرب بناء على ذلك الوضع» وقد يطرأ تبدل في دلالات الكلمات المنقولة.

ويحسن بنا هنا أن نعرض باختصار لمفهوم التعريب عند أئمة اللغة المتقدمين، ثم نقابل ذلك بما قال شيخهم سيبويه (ت 181 هـ).

فالجوهري (ت 393 هـ) عرّف المعرب (الصحاح مادة ع رب) : «تعريب الاسم الأعجمي أن تتفوه به العرب على منهاجها، نقول، عرّبته العرب، وأعربته أيضا».

والزمخشري (ت 538 هـ)، قال في الكشاف 3 / 507 : «إن معنى التعريب : أن يجعل عربياً بالتصرف فيه، وتغييره عن منهاجه وإجرائه على وجه الاعراب».

والجواليقي (ت 540 هـ)، قال في المعرب ص 54 : «اعلم أنهم كثيرا ما يجترئون على تغيير الأسماء إذا استعملوها، فيبدلون الحروف التي ليست من حروفهم إلى أقربها مخرجا، وربما أبدلوا ما بَعُد مخرجه أيضا، والابدال لازم. لئلا يدخلوا في كلامهم ما ليس من حروفهم. وربما غيروا البناء من الكلام الفارسي إلى أبنية العرب. وهذا التغيير يكون بإبدال حرف من حرف، أو زيادة حرف، أو نقصان حرف، أوإبدال حركة بحركة، أو إسكان متحرك، أو تحريك ساكن. وربما تركوا الحرف على حاله لم يغيّروه».

والسيوطي (ت911 هـ)، قال في المزهر 1 / 268 : «المعرّب : مااستعملته العرب من الألفاظ الموضوعة لمعانٍ في غير لغتها».

والخفاجي (ت 1068 هـ)، نقل كلام سيبويه إلاّ أنه أضاف فكرة هامة في ميدان المعرّب كانت محل خلاف نظري وتطبيقي عند المتقدمين ـ قال :

«اختلف في وزن الأسماء الأعجمية فذهب قوم إلى أنها لا توزن لتوقف الوزن على معرفة الأصلي والزائد، وذلك لا يتحقق في الأعجمية» (شفاء الغليل ص 23).

أما سيبويه (181 هـ)، فإن مقولته في التعريب قد ظلت الاطار التي مازال العلماء ينهلون منها، ولابأس من اثباتها، قال في (الكتاب 4 / 303) : «اعلم أنهم ممّا يغيرون من الحروف الأعجمية ما ليس من حروفهم ألبتة، فربما ألحقوه ببناء كلامهم، وربّما لم يلحقوه. فأما ما ألحقوه ببناء كلامهم فدِرْهَمٌ، ألحقوه ببناء هِجْرَع. وبَهْرَجٌ ألحقوه بسَلْهَب. ودِينارٌ ألحقوه بديماس. وديباجٌ ألحقوه كذلك. وقالوا إسْحاق فألحقوه بإعصار، ويعقوب فألحقوه بيَرْبُوع، وجَوْرَبٌ فألحقوه بِفَوْعَل... لما أرادوا أن يُعربوه ألحقوه ببناء كلامهم كما يُلحقون الحروف بالحروف العربية... وربما غيّروا حاله عن حاله في الأعجمية مع إلحاقهم بالعربية غير الحروف العربية، فأبدلوا مكان الزيادة، ولا يبلغون به بناء كلامهم، لأنه أعجمي الأصل، فلا تبلغ قوّته عندهم إلى أن يبلغ بناءهم.. وربما حذفوا كما يحذفون في الاضافة، ويزيدون كما يزيدون فيما يبلغون به البناء وما لا يبلغون به بناءهم، وذلك نحو : آجُرّ، وإبريسم، وإسماعيل، وسراويل... قد فعلوا ذا بما أُلحق ببنائهم

وما لم يلحق من التغيير والابدال، والزيادة والحذف، لما يلزمه من التغيير. وربما تركوا الاسم على حاله إذا كانت حروفه من حروفهم، كان على بنائهم أو لم يكن، نحو خراسان، وخُرَّم... وربما غيَّروا الحرف الذي ليس من حروفهم ولم يغيِّروه عن بنائه في الفارسية نحو : فِرند، وبَقَم، وآجُر، وجُرْبُز».

وإنما أطلنا في نقل هذا النص لأن كلام العلماء بعد سيبويه لم يكن في الغالب إلاّ شرحا لمجمله، أو توضيحا لما استبهم منه، أو استدراكا لما أغفله.

وإن تباين تعريفات المتقدمين للمعرّب سببها عنايتهم ببيان إجراءات التغيير والتعديل لينسجم اللفظ في نطقه مع النظامين الصوتي والصرفي للغة العربية ليصير موافقاً للذوق العام للسامعين.

ولاشك أن مقولة سيبويه تحتاج لالقاء الأضواء عليها ومقابلتها بالآراء الحديثة، فنقول :

ــ إن المعوّل عليه في تعريب الكلمة الأعجمية هو تغيير الحروف الأعجمية، أي الصوت الأعجمي، وزاد سيبويه الأمر توضيحا بقوله (الكتاب 4 / 306) : «فالبدل مطرد في كل حرف ليس من حروفهم». وأحينا يمكن إلحاق الكلمة التي غيرت من حروفها بوزن عربي. أو تترك دون إلحاق أحيانا أخرى خاصة إذا كانت حروف الكلم الأعجمي من جنس العربية .

والواقع أن تطويع الأصوات الأعجمية ومواءمتها وفق أصوات العربية يأتي بالدرجة الأولى عند اقتراض الكلمات الدالة على المفاهيم الحضارية الجديدة.

أما إبدال الحرف العربي ــ أحيانا ــ بعربي غيره فسببه الحرص على انسجام التركيب ليتفق مع العادات الصوتية العربية. وقد يقتضي ذلك تغيير الحركات أو إبدال موضع الحرف. ولقد زاد ابن كمال الأمر توضيحا فقال (ورقة 106أ) : «واعلم أن اللفظ المعرّب إن كان موافقاً لواحد من أبنية العرب، جارياً على وفق أصل من أصولهم (كخرّم) فلا حاجة في تعريبه إلى التغيير، وإلاّ فلابد فيه من نوع تغيير، إما للالحاق بأبنيتهم كما في (درهم)، على ما تقدم بيانه، وإما للتوفيق لأصولهم كما في مهندس.. وأصله بالفارسية إندازه».

وما يؤكد أن العرب أولت الجانب الصوتي الاعتبار الأول عند التعريب أنهم اقترضوا بعض الألفاظ رغبة في التأنق ليس إلاّ، ويصدق هذا على جملة من الألفاظ المعرّبة التي لها مقابلات عربية من مثل ما أوردها (أنستاس الكرملي) في كتابه (نشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها ص 96 ومابعدها)، وفي الفقرة التالية بيان أكثر حول هذه النقطة.

ــ ومسلك التغيير عند سيبويه، هو تغيير صوتي يرافقه تبدل من حيث الهيئة العامة form بحيث يأتلف اللفظ المعرّب صوتيا مع طبيعة اللغة العربية في طرائق نطقها. ومعلوم أنّ هذا اللفظ الجديد على اللغة العربية لن يتساوى مع اللفظ الأصيل لعلة الاشتقاق في أبعادها بينهما، وقول سيبويه (اعلم أنهم مما يغيرون من الحروف ما ليس من حروفهم ألبتة) فهو لا يفهم على إطلاقه، فما لم يكن من حروفهم ألبتة غيروه دون خلاف، ولكننا نلحظ أنهم ربما حولوا بعض الأصوات في الكلم الأعجمي رغم وجود نظائرها في العربية حرصا على تحقيق الانسجام الصوتي harmony phonetic، على نحوما تم في (مهندس) حيث أبدلت السين من الزاي رغبة في إحداث التناسق مع الصوت المجاور.

ويقول السيوطي فيما ينقله عن ابن فارس (المزهر 1 / 272) : «حدثني علي بن أحمد الصباحي، قال : سمعت ابن دريد يقول : حروف لا تتكلم العرب بها إلاّ ضرورة. فإذا اضطروا حوّلوها عند

التكلم بها إلى أقرب الحروف من مخارجها، وذلك كالحرف الذي بين الباء والفاء مثل(بور) إذا اضطروا قالوا : (فور). قال ابن فارس : وهذا لأن (بور) ليس من كلام العرب، فلذلك يحتاج العربي عند تعريبه إيّاه أن يصيره فاء».

وذكر الجواليقي (المعرب ص 55) : أن العرب قالوا : (سراويل) و(اسماعيل)، وأصلهـا (شروال) و (إشماويل) وذلك لقرب الشين من السين في الهمس. فالضرورة الصوتية هي التي ألجأتهم هنا للابدال لثقل الشين في اللفظ كتركيب صوتي ــ مقارنة بتغيير الحرف الواحد في اللفظ لأعجمي عندما لا يكون له نظير في اللغة العربية ــ على نحو مسلكهم في (جاموس = گاوميش) و(ابريسم = ابريشم).

ولكن لا يطرد إبدال السين من الشين، فقد قال العرب : (شَرحبيل) و (شَراحيل) و (شِمْهيل) و(شُبارق) وهو بالفارسية (بيشباره)[1] لملاحظة عدم خروجها عن الانسجام الصوتي عند العرب. وقد أشار سيبويه لهذه المسألة، يقول[2] : «وأما ما لا يطرد فيه الابدال فالحرف الذي هو من حروف العرب، نحو سين (سراويل)، وعين (اسماعيل)، أبدلوا للتغيير الذي قد لزم، فغيروه لما ذكرت من التشبيه بالاضافة، فأبدلوا من الشين نحوها في الهمس والانسلال من بين الثنايا، وأبدلوا من الهمزة العين، لأنها أشبه الحروف بالهمزة».

ومعنى (فغيروه لما ذكرت من التشبيه بالاضافة)، أي من تشبيه الشكل = form الذي آل إليه المعرّب ــ بعد تغيير شكله ــ كما يحدث للفظ العربي عند النسبة كقولهم حضرمي نسبة إلى حضرموت، وبصري نسبة إلى البصرة.

ــ وقول سيبويه : (فأما ما ألحقوه ببناء كلامهم فدرهم... وربما تركوا الاسم على حاله إذا كانت حروفه من حروفهم...)

لابدّ لنا أن نتساءل هنا : هل تمّ إلحاق المعرّبات على أساس الوزن الصرفي أو العرفي ؟.

لقد وردت ألفاظ من المعرّب صادفت وزنا عربيا، ولها نظائر في العربية، ومنها على سبيل المثال لا الحصر : جوهر. جورب. جوسق. جردق. كوسج. موزج. خندق. سوسن... وغيرها. فهذه طائفة من المعرّبات تناظر في العربية لفظ (كوثر) وبناؤها بوزن (فَوْعَل)، ولكن نواة المعنى منحصرة في (ك ث ر) والواو زائدة. والذي يبدو للوهلة الأولى تساوي المعرّب مع العربي. تُرى لو ذهبنا نتعرف على الزائد في مثل (جوهر) فهل لنا أن نقول : إن نواة المعنى هي (ج هـ ر) أو (ج و ر) أو... أو... الخ، إن البحث عن أبنية ــ حجج صرفية ــ لتعيين إلحاق المعرّب عمل صناعي لا طائل من ورائه. جاء في القاموس المحيط (كربس : الكِرباس : بالكسر : ثوب من القطن الأبيض، معرب فارِسيَّته بالفتح، غيَّروه لغرة (فَعلال). والنسبة كرابيسي، كأنه شبه بالأنصاري، وإلاّ فالقياس كِرباسِيّ).

ــ وواضح أن التغيير هنا لسبب صوتي لا لحجة صرفية فحسب.

لقد كان هذا مما شغل المتقدمين فسهل وصف أعمالهم بالوهم والارتجال، وعندما ننظر في ترتيب مداخل المعجم العربي نقع على مفارقات في ترتيب بعض المعربات فـ (اسطرلاب) تجدها تارة في (ل وب)، وأخرى في (س ط ر). و(ميناء) نجدها تارة في (و ن ي)، وأخرى في (م ن ي)، وثالثة في

(1) المعّرب : ص252 ــ 253. و(شِمهيل) عَلَم، قيل هو أخو العتيك و(شبارق) : ألوان من اللحم المطبوخ.
(2) الكتاب : 4 / 306.

(م ي ن). و(أنجر)[3] مرة على الأصل في الرباعي، وأخرى في الثلاثي (ن ج ر). ولنا عود لتفصيل القول في هذه المسألة.

لقد أصاب الخفاجي في قوله (شفاء الغليل ص 3) : «إن الأسماء الأعجمية لا توزن لتوقف الوزن على معرفة الأصل والزائد وذلك لا يتحقق في الأعجمية». ومن هنا يتضح لنا قول سيبويه (ودينار ألحقوه بديماس)، فالدينار عنده دخيل جديد ألحق بديماس المعروف، وكلاهما لفظان معربان ولقد تم الالحاق على أساس القياس الابداعي عند (فرديناند دوسوسير)، أو القياس الخاطىء[4] عند العرب. وخلاصة القول أن الالحاق هنا تم على أسس صوتية لا على أساس قياسي اشتقاقي صوتي. وهو يتفق مع طبيعة التبادل بين اللغات حيث يجري النطق بعيدا عن أحكام النحاة ومقاييسهم. وهو داخل في باب ما عممه ابن جني في مقولته المشهورة : «ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب»[5]، وقال أبو هلال في (التلخيص في أسماء الأشياء 1 / 217) : «والكلمة الأعجمية إذا عرّبت فهي عربية، لأنّ العربي إذا تكلم بها معرّبة لم يقل إنه يتكلم بالعجمية».

ـــ قول سيبويه (وربما لم يلحقوه...) ملحظ دقيق في جعله حد التعريب مقتصرا على نقل الكلمة الأعجمية واستعمالها على الاطلاق سواء أتمّ الالحاق بأبنية العرب كدرهم إذ ألحقوه ب «هجرع»، أم لم يتم كخراسان، لا يثبت به (فعالان).

أقول : كأن سيبويه ومن شايعه من العلماء المتقدمين قد نظروا إلى ظروف العربية المعاصرة وقد انهالت عليها المفاهيم العلمية المستجدة بمعدل مائة مصطلح في كل يوم كما ورد عن مدير مكتب تنسيق التعريب بالرباط[6].

وإذا كانت أوزان العربية الأصلية لن تتسع لتضمّ كلّ ماتفرزه اللغات الأجنبية من مصطلحات لا يمكن حصرها فيجب ـــ حائذ ـــ أن لا نلتزم بإقامة المعرب على وزن عربيّ بصورة كاملة. ورغم أننا نجد ألفاظا كثيرة قد عرّبت وشاع استعمالها مع وجود نظائرها في العربية، فإنّ هذا لم يفقد اللغة حيوتها ومرونتها لتقبل الأنماط المتجددة في الحياة. ومع ذلك لا يجوز فتح الباب على مصراعيه لكي يدخل إلى لغتنا كلّ ما نطق به الأعاجم بل علينا أن نختار بقدر حاجتنا من مثل الأعلام الأعجمية واللباس والشراب والطعام والأثاث والأدوية وأسماء الأعيان وأعلام الجنس مما لايعرفه العرب كالاكسجين، والهيدروجين، والانزيم، والأيون. ولقد كان مجمع اللغة العربية بالقاهرة متحفظا في قراره بخصوص التعريب الذي ينصّ : «يجيز المجمع أن يستعمل بعض الألفاظ الأعجمية ـــ عند الضرورة ـــ على طريقة العرب في تعريبهم»[7]. وإنما قال عند الضرورة ـــ لأنه أتبعه بقرار آخر «يفضل اللفظ العربي القديم على المعرّب إلاّ إذا اشتهر المعرب»[8] ـــ كما أن بابي الاشتقاق والتوليد واسعان ولا يُلجأ إلى النحت إلاّ عند الضرورة.

---

(3) انظر : الجواليقي، المعرب ص 75، والأنجر : مرساة السفينة معرّب لنكر.

(4) هو الذي تكون فيه المشابهة بين الكلمتين قائمة على الصورة مثل توهم أصالة الياء في (أعياد) حملا على (عيد)، وجمع (معيشة) و(مصيبة) على (معائش) و(مصائب) حملا على (صحائف)، والصواب فيهما : معايش ومصايب (انظر للمزيد : عبد الصبور شاهين، اللغة العربية لغة العلوم والتقنية ص ص 243 ـــ 248، وحامد قنيبي، المؤثرات السماعية ص 20).

(5) الخصائص 1 / 357.

(6) عبد العزيز بنعبد الله، التعريب ومستقبل اللغة العربية، ص 29، وانظر للمذكور مجلة اللسان العربي، مجلد14، الجزء الأول1979، ص 159.

(7) نقلاً عن ملحق (مجموعة قرارات مجمع اللغة العربية بالقاهرة) المثبت في معجم المصطلحات العلمية والفنية والهندسية، أحمد شفيق الخطيب ـــ قرار رقم32.

(8) المصدر السابق قرار رقم33.

كما أقرّت (ندوة توحيد منهجيات وضع المصطلح العلمي العربي)[9] التي عقدت تحت مظلة (مكتب تنسيق التعريب بالرباط) في شباط (فبراير) 1981، مجموعة من المبادىء والاقتراحات عند اختيار المصطلحات بهدف الارتقاء بعلم المصطلح حتى يصبح تخصصاً لا هوىً يشارك فيه الاصطلاحيون واللغويون والمعجميون والاختصاصيون والمترجمون والاعلاميون.. ومما ورد في باب تعريب الألفاظ الأجنبية ما يأتي :

أ ــ ترجيح ما سهل نطقه في رسم الألفاظ المعرّبة عند اختلاف نطقها في اللغات الأجنبية.

ب ــ التغيير في شكله، حتىٰ يصبح موافقا للصيغة العربية ومستساغا.

ج ــ اعتبار المصطلح المعرّب عربيا، يخضع لقواعد اللغة ويجوز فيه الاشتقاق والنحت وتستخدم فيه أدوات البدء والالحاق مع موافقته للصيغة العربية.

د ــ تصويب الكلمات العربية التي حرفتها اللغات الأجنبية واستعمالها باعتماد أصلها الفصيح.

هـ ــ ضبط المصطلحات عامة والمعرّب منها خاصة بالشكل حرصا على صحة نطقها ودقة أدائها.

لقد سجل التاريخ المعجمي عند العرب أن صاحب أساس البلاغة (ت 538هـ) كان أول من خرج على شرعية عصر الاحتجاج اللغوي حين استشهد الأدباء وشعراء عصره وما قبلهم من المولدين. وكانت حجته في ذلك أن روح اللغة تكمن في تراكيبها الدلالية لا في ألفاظها فحسب. والألفاظ المعرّبة لا تشكل خطرا على اللغة ما لم تزعزع النظام النحوي والصرفي لهذه اللغة. لأنها في مستوى دون التراكيب الدلالية. واللغة ليست مجرد ألفاظ مفردة، بل هي بناء ملتحم قوامه الحروف والأفعال والأسماء تبرز في مجموعها ما تنضوي عليه اللغة من فكر وذوق وحضارة. والألفاظ المعربة تسبك في هذا البناء دون أن تؤثر على كيانه اللغوي، بل ربما زادته قوة وسعة. ودلّت على مرونة العربية.

ــ كثيرا ما تخضع الكلمات المقترضة من اللغات إلى كثير من التحريف في أصواتها مما يبعدها عن صورتها الأصلية. وليس غريبا أن الكلمة الواحدة قد تنتقل من لغة إلى عدة لغات فتغدو وكأنها كيان مستقل عندما تأتلف مع الأساليب الصوتية في كل لغة نقلت إليها حتى تصل لدرجة التباين المطلق. وبهذا الفهم أمكن تعليل صلة هجرة الألفاظ على نحو : admiral الانجليزية، وهي مأخوذة عن الفرنسية القديمةamiral. والأصل عن العربية (أمير البحر). ومثلها : arsenal الانجليزية، وهي مأخوذة عن الايطالية aresnale، وهي في التركية (ترسانة). والأصل عن العربية (دار الصناعة). و(الموسلين) لنوع من الحرير الرقيق كان يأتي من العراق واسمه منسوب إلى مدينة (الموصل). و(الزعتر) أو (الصعتر) أو (السعتر) : وهو نبات عشبي جبلي، طيب الرائحة بعض أنواعه يؤكل أخضر أو يابساً مع السُّماق، ويعتبر في فلسطين غذاءً شعبياً يؤتدم به مع زيت الزيتون. وأصل اللفظ من الآرامية (زوترا)، وهو في اللاتينية satureja وانظر إن شئت في طائفة الألفاظ المعربة في بحث (الدخيل في اللغة العربية لفؤاد حسنين علي، مجلة كلية الآداب ــ جامعة فؤاد الأول ــ مجلد 12، 1590م).

ومن المؤكد في هذا الباب أن للعرب مقذرة خاصّة على نطق أصوات اللغات كلّها بحكم ما تتميز

(9) اقرأ تفصيل وقائع هذه الندوة في مجلة مجمع اللغة العربية الأردني ج 11 ــ 12، ص 220.

به أصوات العربية من تنوع ساعدهم على «التمشي» في نطق الأصوات مهما صعبت، يقول المرحوم صبحي الصالح[10] : «والعربيـة ــ على اتساع مدرجها الصوتي ــ ازدادت سعة على سعة يوم أدخلت بين حروفها الهجائية أصواتا تقاربها مخرجا أو صفة، إذ عربت هذه الأصوات الدخيلة، وحددت لها مواقعها من جهاز النطق، فلم تستعص على ألسنة العامة فضلاً عن الخاصة، فقطع بذلك الشوط الأول من التعريب : ألا وهو تعريب المادة الصوتية، وتطويعها لأصوات العربية».

ولكن هذه المقدرة وحدها لاتكفي، فلكل لغة نظامها النطقي الخاص، فالعرب قد رفضوا الصوت الأعجمي كخطوة أولى في مسلك التعريب، ثم تأتي الخطوة التالية وهي الالحاق بأبنية كلامهم، وهو الغالب، أو تركها على حالها إذا كانت حروفها من حروفهم وهذا معنى قول سيبويه (وربما غيروا الحرف الذي ليس من حروفهم ولم يغيّروه عن بنائه في الفارسية نحو : فِرِند، وبقّم، وآجُر، وجُرْبُز).

إن مسلك التغيير في التعريب ــ أعني الابدال الصوتي للحروف العربية من الأعجمية ــ لم يضبط بقوانين محددة، وإن محاولة المتقدمين وضع القواعد والقوانين لذلك لم تتجاوز كونها تعميمات غير مطردة[11] لأننا نجد لكل قاعدة استثناء، ويقول انستاس الكرملي : «إن التعريب في كل عصوره يرجع إلى عضوية لاطائل منها في نقل المعربات، أو لأنّ الذين تناولوه كانوا من سواد الناس، وتلقفها منهم حملة الأقلام بدون نقد، أو من باب التعصب»[12].

نفهم من قول الكرملي أن العُرْف العام هو الذي يسمح بدخول المعرب إلى اللغة العربية، وأن عنصر السماع في تقبله هو العامل الأهم، ولا بدّ له من الخضوع لطبائع العربية من حذف أو إضافة أو وزن أو إيقاع صوتي متجانس مع لغة العرب حتى إذا شاع استعماله واستشرى خطوه صنف مع نظائره في الاستعمال اللغوي، وبعد ذلك يأتي دور الدرس اللغوي من قبل العلماء لتسويغ وجوده في لغة العرب إذ لا يعقل وضع مواصفات مسبقة للمعرب كظاهرة لم تتضح معالمها أو تتعين ملامحها.

ولكننا نزيد على قول الكرملي : إن الدافع إلى التعريب هو الحاجة إلى التعبير، والحاجة إلى التعبير أقوى من صحة اللغة أحيانا، فنحن نقول اليوم (سويتش = switch) للمفتاح الذي يُبدئُ عمل آلة، وكان بإمكاننا أن نقول (البادىء) = اسم فاعل فعله بدأ... ونقول (ترموجراف = thermograph ــ المِحَرّ، اسم آلة من (حرّ)، ولكن مجمع اللغة العربية قبله من باب التعريب مع إبدال(th = ث) إلى (ت)، وجاء تعريفه في المعجم الوسيط (1 / 85) : «جهاز يسجّل بالرسم البياني درجة حراة الجو».

إن (البادىء) و (المِحرّ) نموذجان للألفاظ العربية سيئة الحظ في الاستعمال اليومي في حياتنا المعاصرة وذلك لقوة المصطلح الدخيل أو المعرب. ومثلهما : راديو Radio (مذياع). بريك brake (كابحة ــ فرملة). هالو Hello (أهلاً). استنسل stencil (ورق الشمع). كربوريتر carburettor (جهاز الاحتراق). دينامو dynamo (مولد كهربائي). hardware (مستلزمات آلية). software (مستلزمات فكرية)...

ولقد عرضت هذه المسألة لرشيد عطية في

(10) دراسات في فقه اللغة ص 319.

(11) انظر : المغربي، الاشتقاق والتعريب، ص 44، 83.

(12) مجلة المجمع العلمي بدمشق، المجلد الثالث ص13.

معجمه (الدخيل) فقال في (الترمومتر) ص 481 : «انجليزية من اليونانية معناها ميزان الحرارة عرّبتها بالمحرار اسم آلة من حرّ. أو نعرّبها بالتحت من مدلولها فنقول (قسحار) منحوتة من (مقياس وحرارة). هذا وإن في هذه اللفظة وأمثالها عبرة ودرساً لنا نحن أبناء الضاد، فإنّ اللفظة يونانية كما تقدم ومع ذلك لم يأنف الانجليز والفرنسيون والاسبانيون والبرتغاليون والايطاليون وغيرهم من نقلها إلى لغاتهم مشيرين في معاجمهم إلى الأصل المأخوذة عنه، ولذلك سهل على أبناء كل لغة أن ينهضوا بلغتهم جريا مع مقتضيات العصر.

أما نحن فإذا نقلنا كلمة بعد أن يتعذر وجود مرادف لها في العربية وبعد أن نشذبها لكي تنطبق على منهاج عربي قامت علينا قيامة المتعنتين، وإذا حاولنا أن نجد لها لفظة عربية تلابسها أو نشتق لها اسماً من مادة ينطبق معناها على المعنى الأجنبي أو يشبهه قلبوا شفاههم ونادوا بالويل والثبور، وقالوا قد كفرَ — وأتى أمراً فرياً. فماذا نفعل وأي سبيل نسلك لكي يخفف العناء عن المعربين وكيف تنهض الأمة إذا ظلت لغتها جامدة، وهل معنى الجمود غير الموت».

لقد فات الشيخ رشيد عطية أن يضيف أن ما يحتاج إليه المصطلح الحضاري عربياً مولداً كان أو دخيلاً معرباً هو أن نكفل له مقداراً من الشيوع حتى يستساغ سماعه فيغدو مألوفا في الاستعمال اليومي.

ولفظ (السيارة) اكتسب هذه الدلالة الاصطلاحية على تلك الآلة التي تسير لسهولة التلفظ وشيوع الاستعمال، وإلاّ فليس له من صفات ال autocar إلاّ المشاركة في السير، وكثير من الأشياء تشاركه تلك الصفة.

والحق أن الذين تناولوا دراسة الألفاظ المعربة لم يستطيعوا تصنيف المعرب على نسق مطرد لأن لكلّ لفظ ظروفه وملابسات تعريبه من جهة، ولأن همهم كان وصف ما وقفوا عليه لا وضعه ضمن معايير ثابتة، زد على ذلك اختلاف اللغات التي تم الاقتراض منها. وفي الأمثلة التي ساقها ابن كمال ما يؤكد ما نذهب إليه. لقد كان يعوزهم المعرفة الكافية للغات الأخرى، وكان أول ما اعتمدوا عليه في تأصيل الكلمات (الأعجمية) هو السماع. فاللفظة المسموعة من العرب الاقحاح — وإن تشابهت عليهم — مالوا إلى اعتبارها عربية، وراحوا يبحثون لها عن أصل اشتقاقي... وإن أفضى بهم المقام إلى إدراك عجمتها لم يقطعوا في نسبة الكلمة إلى أيٍّ من اللغات تمّ الاقتراض منها لافتقارهم إلى دليل نقلي، فاعتمدوا في ترجيحهم العجمة على ما تعارفوا عليه من قواعد يعرف بها الأعجمي من غيره. وربما اكتفوا بالقول : (لا أحسبها عربية، أو قيل كذا، أو عزوها إلى الفارسية) وفي المعرب للجواليقي تتردد كثيرا أمثال هذه العبارات، من نحوه : ليس بعربي صحيح. لا أدري أعربي هو أم دخيل. لا أحسبها عربية محضة[13]... وغيرها.

* * *

بقي أن نقول : إن تقبل ظاهرة الألفاظ المعربة أمر بدهي، وهي نتيجة الاتصال الحضاري بين العرب وغيرهم من الأمم. وهذه الألفاظ يمكن تقسيمها إلى جنسين : ألفاظ حضارية عامة. وألفاظ علمية خاصة. وكلاهما يخضعان عند الانتقال إلى عدة عوامل : العرف اللغوي السائد في البيئة التي انتقلت إليها الألفاظ الدخيلة، والمستوى التعليمي للناطقين

(13) انظر المعرب للجواليقي، صفحات : 242، 243، 244، 266، 269، 287، 315، 343.

الجدد، والطريقة التي تمَّ بها النقل أهو سماعي أم كتابي ؟، ودرجة إجادة اللغة الأجنبية التي نقلت منها الألفاظ وفرق بين أخذ الألفاظ من أفواه العلماء والأدباء ووسائل الاعلام الرصينة، وبين أخذها من أفواه العامة، ووسائل الاعلام الرخيصة، واللهجات المحلية، أو أشرطة الأغاني والفيديو.

يقول صاحب الاشتقاق والتعريب ص 41 : «والعرب لم يكونوا يخالطون الأعاجم كما نخالطهم نحن لهذا العهد. ولم يكونوا يعرفون من لغاتهم كما نعرف نحن. لذلك كانت ألسنتهم غير ممرَّنة على النطق بالكلمات الأعجمية. وأسماعهم غير مستأنسة بلهجتها ونغمتها استئناسنا نحن بهما» وفي مقدمة (المساعد 1 / 45) نقرأ تذييلا لهذه الفكرة : «إن كثيراً من تلك الكلم لما صورت بحروف عربية اختلفت قراءتها على الجاهلين بنطقها ومعناها وصحة التلفظ بها، فاضطروا إلى أن يتوهموا فيها ما أرادوا وعلى ما يوحي إليهم وهمهم وخاطرهم أو علمهم، فجاءت بعيدة عن أصولها الأولى، ووضعوا لها تفاسير غريبة ظاهرة التكلف كلَّ الظهور».

لذا فإن الألفاظ الحضارية العامة من المعربات خضعت لظروف عفوية دعت إليها ضرورة الاستعمال، وكان من الصعب وضع معيار لضبطها، أو تقعيدها فهي أشبه بكيانات مستقلة تعامل كل لفظة منها في إطار ملابسات نقلها واستعمالها، ومن أمثال هذه المعربات الحديثة مانجده من اختلاف في نطق مثل : تكسي من الانجليزية taxi، وعربيتها سيارة أجرة، وهي تلفظ ب : طاكسي. تكسي. تكس. وتلفون من الانجليزية telephone، وعربيته : الهاتف. يلفظ : تِلِيفُون. تيليفون.

والسَّلَطَة من الايطالية salata، وهي مخلوط من الخضروات والملح (حرفيا : مملحة)، تلفظ : سلاطه. صلاطه، زلاطه.

وطازه من الفارسية (تازه)، ومعناها : جديد. الطري. الجديد من الألبان والفاكهة وخلافه، تلفظ : تازة. طازجة. طازج. طاظجة... وغيرها.

أقول : إن سبب تعدد نطق مثل هذه الألفاظ هو شيوعها على ألسنة العامة والخاصة على السواء، وأنها من ألفاظ الحضارة العامة التي تخضع للعرف اللغوي السائد، والعوامل السماعية الأخرى التي صدّرنا بها هذه الفقرة... وقديماً ذكر المسعودي في مروج الذهب (نقلاً عن معجم الألفاظ الهندية المعربة ص 122) إن العرب حرصوا على الأخذ بالألفاظ المحلية في مختلف المناطق التي ترددوا إليها، يقول : «إنما نعبّر بلغة أهل كل بحر وما يستعملونه في خطابهم فيما يتعارفونه بينهم»... و«إنما نخبّر عن عبارة كل بحر وما يستعملونه في خطابهم».

أما الألفاظ والمصطلحات العلمية فهي لغة طائفة مخصوصة من أهل العلم، وهم يتواضعون فيما بينهم على أسس وقواعد في التعريب. وأهم ما يميز مسلكهم في تلقي المعربات أنهم يعتمدون على الكتابة والنظر لا على السماع والنطق فحسب. وفي أروقة المجامع العربية ومن خلال جهود مجموعات اللجان المختلفة يقررون ما تكون عليه صيغة المعرّبات والمصطلحات. من ذلك قرار المجمع اللغوي بمصر إساغة بعض اللواحق الأجنبية في اللفظ : «عند تعريب أسماء العناصر الكيماوية التي تنتهي بالمقطع (ium) يعرّب ب (يوم)، (مالم يكن لاسم العنصر تعريب أو ترجمة شائعة)، كما في : ألمنيوم وبوتاسيوم وكلسيوم»

و«نحاسوز تعريباً لقولهم cuprous
ونحاسيك تعريباً لقولهم cupric

وعلى ذلك الباب كلّه. وذلك فيما اصطلح عليه أهل الكيمياء أن يدلّوا باختلاف الزيادتين ous

وic في الاسم على اختلاف حالتي كفاءة المادة الواحدة».

و«يرسم حرف G في الكلمات المعرّبة (جيما) أو (غينا) نحو : غرام، انجلترا».

و«تترجم اللاحقة logy للدلالة على العلم ب (التاء) في آخرها فيقال : جيولوجية. بيولوجية. سوسيولوجية»... وغيرها مما هو مثبت في (مجموعة المصطلحات العلمية والفنية).

وغني عن البيان أن أمثال هذه المعالجات إنما تعالج كلمات علمية، والمعنيون بها يتعاملون مع هذه الكلمات في مراجعها ومعاجمها. والرمز (مج) في (المعجم الوسيط) يشير إلى طائفة الألفاظ المعجمية، وهي جانب من الألفاظ المحدثة، غير أن هذه الألفاظ تتضمن ألفاظا معربة ومولدة ودخيلة. وكان دور المجمع في الواقع دورا أساسياً في وضعها الاصطلاحي، وتحديد مفهومها الجديد الذي يمكن أن نطلق عليه (المفهوم المقنن)، ولذلك نجد في المعجم الوسيط أن اللفظ المعجمي يصحبه دائما تعريف دقيق، أشبه بالتعريفات المنطقية(14).

أما مصادر هذه الألفاظ فنستطيع أن نميز فيها طائفة أجنبية تولاها المجمع بالتعريب، أو ارتضى تدخيلها في العربية كما هي. وطائفة من الألفاظ قامت على أساس التوسع في دلالتها بطريق المجاز، وطائفة ثالثة كان للمجمع فضل اشتقاقها أو على الأصح : توليدها على قياس اللغة، وطائفة أخيرة هي عبارة عن تعبيرات مركبة شائعة على ألسنة العوام والمثقفين فتولاها المجمع بالتحديد العلمي، حين ظهر له انتشارها وخاف من وقوع اللبس في دلالتها إذا ما تركها دون تحديد. وعليه يمكن تحديد دور المجمع إزاء هذه الألفاظ بأنه لا يعدو أحد موقفين(15) :

1 — إما أن يضع التعاريف العلمية لألفاظ موجودة فعلاً، عربية أو أجنبية.

2 — وإما أن يضع ألفاظاً على سبيل الترجمة أو الصوغ الابداعي، ثم يحدد معانيها بطريقته.

وفيما يلي عرض لأمثلة مما ورد من الألفاظ المجمعية كما وردت في المعجم الوسيط :

بلاتين : عنصر فلزي فضي اللون.

بنسلين : عقّار من العقاقير التي توقف نموّ الجراثيم، ويفيد في كثير من أمراض التقيح.

بوتاسيوم : عنصر فلزي لين من مجموعة القلويات.

جلوكوما : مرض يتميز بارتفاع الضغط داخل العين.

نيون : عنصر غازي إذا أُمِرّتْ فيه شرارة كهربية وهو في حالة التخلخل توهج بضوء أحمر برتقالي، وكثيراً ما يستعمل في الاعلانات والاشارات الضوئية.

لقد بلغ ما وضعه مجمع اللغة العربية بالقاهرة منذ إنشائه حتى الآن مائة ألف مصطلح أو يزيد، والعمل مستمر.

وكذلك تفعل المجامع الأخرى. و في تصدير المجمع العلمي العراقي لمصطلحات الولادة (مجلة المجمع ج 19) ذكر لبعض القواعد التي روعيت عند صوغ المصطلحات ومنها :

1 — إيثار استعمال اللفظ العربي على اللفظ الأجنبي.

2 — إحياء المصطلح العربي القديم إذا كان

(14) انظر : عبد الصبور شاهين. اللغة العربية لغة العلوم.. ص368.
(15) المرجع السابق، ص 369.

مؤديا للمعنى العلمي الصحيح.

3 ــ تفضيل اللفظ العربي الأصيل على المولّد، والمولّد على الحديث، إلاّ إذا اشتهر الأخير.

4 ــ استعمال اللفظ العربي الأصيل إذا كان المصطلح الأجنبي مأخوذا منه.

5 ــ تجنب النحت ما أمكن ذلك.

6 ــ تجنب تعريب المصطلح الأجنبي إلاّ في الأحوال التالية :

أ ــ إذا أصبح مدلوله شائعاً بدرجة كبيرة يصعب معها تغييره.

ب ــ إذا كان مشتقاً من أسماء الأعلام.

جـ ــ في خالة الأسماء العلمية لبعض العناصر والمركبات الكيماوية.

د ــ إذا كان من أسماء المقاييس والوحدات الأجنبية.

هـ ــ إذا كان مستعملاً في كتب التراث.

7ــ روعيت قواعد معينة في التعريب منها :

أ ــ البدء بالهمزة إذا دعت إلى ذلك ضرورة تجنب البدء بحرف ساكن مراعاة لطبيعة اللغة العربية.

ب ــ استعمال حرف الغين الذي يقابل حرف الجيم غير المعطشة.

جـ ــ كتابة الألفاظ المعرّبة كما ينطق بها في لغتها مع إيثار الصيغة التي نطق بها العرب.

د ــ تفضيل الصيغة الاوربية الأقرب إلى طبيعة العربية.

8 ــ النطق بأسماء الأعلام الأعجمية وكتابتها كما ينطق بها في مواطنها ما أمكن ذلك.

ثانيا : نظرات تحليلية أخرى في رسالة تحقيق الكلمة الأعجمية.

التأصيل اللغوي Etymology مصطلح جديد في الدرس اللغوي عند العرب يُعنى ببيان الأصول اللغوية للكلم الأعجمي الذي دخل لغةالعرب كأن ينسب تلك الألفاظ إلى أصولها السامية أو الفارسية أو الهندية أو اللاتينية. والمتقدمون من الأسلاف جعلوا الاشتقاق Derivation وسيلتهم لتأصيل الكلم وتمييز الدخيل من العربي، قال أبو البقاء الكفوي (الكليات ج 1 / 179) «الاشتقاق : ردّ كلمة إلى أخرى لتناسبها في اللفظ والمعنى. وهو من أصل خواص كلام العرب، فإنّهم أطبقوا على أن التفرقة بين اللفظ العربي والعجمي بصحة الاشتقاق».

وعرّفه صاحب (اللغة العربية لغة العلوم والتقنية ص 260) : «هو صوغ كلمة فرعية من كلمة أصلية على أساس قياس مطرد، كاشتقاق الصفات وأسماء الزمان والمكان ونحوها» وبناء على هذا التعريف يصبح المصدر، والفعل الماضي ــ كلاهما صورة اشتقاقية كسائر المشتقات، لا أصلاً اشتقاقياً، كما ذهب إليه القدماء على خلاف بين البصريين والكوفيين.

ومسلك القدماء في الاشتقاق قادهم إلى تأثيل لغتهم العربية على جانب هضم حق اللغات الأخرى في باب الدخيل لأنه باعد بين أصل الدخيل ونسبته إلى لغته التي أخذ منها، ذلك لأنهم اكتفوا بأدنى سبب يمتّ إلى المعنى بصلة يطمئنون إليه يعتبرونه وجها من وجوه الاحتمال في أصل المعنى ولهذا وجدنا تعدد لغات الدخيل، ومثال ذلك : ما أورده صاحب المساعد للفظ الآبش (1 / 116) ، قال : «الآبش ــ بمد الألف وكسر الباء بعدها شين معجمة ــ ضرب

من الآجرّ العريض المربع الملون بألوان مختلفة، وهو المعروف اليوم في بغداد بالكاشي وعند السوريين بالقاشاني». ويستعمل لتزيين أفنية المنزل وردهاته.

واللفظ معرّب من اليونانية abakhos، أو من الرومية abacus وهو في الفرنسية abaque... «إلاّ أن الأولين لما رأوا في بناء اللفظة اسم الفاعل تصوروا أن من يكون كذلك لايكون إلاّ إذا عقل، وأرادوا أن يصلوا معاني اللفظة بعضها ببعض فقالوا ما قالوا وهو غريب. وهذه ملاحظة دقيقة ما كانت تظهر وتتجلى غوامضها للبصائر لو لم يعرف أصل الكلمة... ومن الغريب أنهم عربوا الكلمة المذكورة بصورة ثانية، وهي صورة التفخيم فقالوا في (آبش) أحبش، وقالوا في تعريفه الذي يأكل طعام الرجل ويجلس على مائدته ويزينه (عن التاج في مستدرك ح ب ش)».

وانظر أمثلة أخرى من قبيل هذا التأصيل في المعجم الكبير، والمعجم المساعد، نحو : أسطم، أصص، برطلة، أردمون... وسنتناول أمثلة أخرى بالتحليل.

لقد أدى مسلك المتقدمين في الدخيل من خلال الاشتقاق القياسي إلى فتح باب الاجتهاد والجدل إلى ما لاطائل من ورائه مما حدا بمحمد مرتضى الزبيدى إلى القول في مقدمة التاج فيما نقله عن الجواليقي (المعرب 51) : «مما يحذر منه كلّ الحذر أن يشتق من لغة العرب لشيء من لغة العجم، فيكون بمنزلة من ادّعى أنّ الطير وُلِدَ من الحوت» وزاد الزبيدي على هذا قوله : «وجملة الجواب أن الأعجمية لا تشتق، أي لا يحكم عليها أنها مشتقة وإن اشتق من لفظها، فإذا وافق لفظ أعجمي لفظاً عربياً في حروفه فلا تَرين أحدهما مأخوذاً من الآخر كإسحق ويعقوب فليسا من لفظ أنسحقه الله إسحاقاً أي أبعده، ولا من اليعقوب اسم الطائر، وكذا سائر ما وقع في الأعجمي موافقاً للفظ العربي».

ولكن علينا أن نفرق بين النظر إلى الدخيل من باب الاشتقاق من حيث التأصيل وبين جواز القياس على الدخيل. وقد انتهى مجمع اللغة العربية إلى الأخذ بمبدأ القياس بشكل عام دون ارتباط بحدود الزمان والمكان استناداً إلى القاعدة المشهورة (أن ماقيس على كلام العرب فهو من كلام العرب)، والأمران مختلفان، وإنما نرفض مسلك التأصيل اللغوي من خلال الاشتقاق فقط، أما القياس فهو ما ندعو إليه. وفي (مجموعة القرارت العلمية والفنية) تأكيد على أن القياس ممكن في أغلب مقولات اللغة ــ أسماء وأفعال وحروف معان ــ العربية الأصل والمعربة فنقول من الجامد في اللغة العلمية : مهدرج ومكربن ومبلمر ــ كصفات للمواد المعالجة بالهيدروجين والكربون والكبريت أو بالبلمرة... وتوسّعوا في قياسية الاشتقاق من أسماء الأعيان والمصدر الصناعي... واسم الآلة... وصيغ المبالغة والتكثير... والصفات الدالة على المرض... والصوت... والاضطراب... وغير ذلك من الصيغ القياسية التي يستعان بها لتطويع اللغة العربية لاستيعاب مفاهيم الحضارة الحديثة في جميع مجالات المعرفة العلمية والحضارية.

ولقد سلك المتقدمون في الاشتقاق من الاسم المعرب فقالوا : هَنْدَس ودرهم وخندق وجنَّق. ويمكننا اليوم أن نقول : تلفن وتلفونية من التلفون. وكهرب وكهربائية من الكهرباء. وتلفز تلفزة من التلفزيون. وأكسد من أكسيد ــ توسعا في القياس للتعبير عن معاني الحضارة والعلم.

* * *

وتأتي أهمية رسالة ابن كمال في باب التأصيل اللغوي في باب المعربات شهادة مستعرب غير عادي

فهو شيخ الاسلام في دولة آل عثمان (ت 940 هـ)، عظيم الشبه في مكانته العلمية بالامام جلال الدين السيوطي (ت 911 هـ) حتى وصفه بعضهم بسيوطي الترك لكثرة مؤلفاته بالعربية إذ كان ذا باع طويل في علم اللغة والفرائض والأحكام، وأتقن النحو والصرف يساعده في ذلك اضطلاعه في علم اللغة وإتقانه اللغتين الفارسية والعربية إلى جانب لغته التركية. وتبدو مكانته في اللغات الشرقية فيما أثبتناه له من مؤلفات في فصل سيرته الذاتية.

لقد حدّد ابن كمال غرضه من وضع هذه الرسالة وأنه قد جعلها للتأصيل اللغوي في البحث عن أصول الكلمات المعرّبة Etymology فهو يقول (ورقة 103 أ) : «وبعد، فهذه رسالة مرتبة في تحقيق تعريب الكلمة الأعجمية، وتفصيل أقسامه، وتمييزه عما يشابهه وليس منه فإنه دقيق جدا، قلما يتّطّفن له وذلك أن العرب كما تستعمل الكلمة الأعجمية وتجعلها جزءا من الكلام بعد التعريب، كذلك تستعملها وتجعلها جزءا منه قبله».

لقد نقلنا ابن كمال إلى صلب القضية، قضية تحقيق تعريب الكلمة الأعجمية، ولقد ساوى بين المعرب والدخيل، وهو ما عبر عنه سيبويه بقوله (فربما ألحقوه ببناء كلامهم، وربما لم يلحقوه) — ولقد سبق أن وقفنا عند هذه المسألة... لقد اتسمت دراسات المتقدمين بطغيان الجانب التطبيقي في البحث على حساب الجوانب النظرية وتحليل الأدلة التأصيلية، فدراساتهم تخلو من الدراسة التقابلية، أو الموازنة بين العربية واللغات التي اقترضوا منها. فمن الملاحظ — مثلا — أن الجواليقي (ت 540 هـ) في كتاب (المعرب) عندما كان يعزو لفظا إلى لغة أعجمية أنه كان يتوكأ على أسانيد من قول الأئمة السابقين كأبي عبيدة والأصمعي وابن دريد وابن قتيبة وابن السكيت.

وقد حفلت مقدمات كتب (المعربات) على البدائل الصوتية لما لا نظير له من الأعجمي عندهم، وما سنوه من أحكام حول الاشتقاق والالحاق بالصيغ والأوزان العربية، وهي أحكام ما تزال مصدرا للمحدثين بما تضمنته من نتائج قيّمة مستنبطة من الملاحظة المتأنية والخبرة الطويلة بدقائق العربية ومزاياها، ولكن على حساب إهمال هذه الجوانب في الألفاظ المعربة ذاتها، فالتأصيل اللغوي اتسم بالحدس والتخمين وافتقر إلى تعزيز الدراسات المساندة من نحو دراسات اللغات الأخرى، ومعرفة خصائصها، وفصائلها، والصلات بينها.

ففي مقدمة المعرب للجواليقي (ت 540 هـ) يصرح بالغرض من تأليف كتابه فيقول : «هذا كتاب نذكر فيه ما تكلمت به العرب من الكلام الأعجمي، وما نطق به القرآن الكريم... ليعرف الدخيل من الصريح» ثم يعقد (ص 59) بابا سماه (ما يعرف من المعرب بائتلاف الحروف) — وهي عنده :

1 — الجيم والقاف لا يجتمعان في كلمة عربية، نحو : جرندق...

2 — لا تجتمع الصاد والجيم في كلمة عربية، نحو : الجص والصولجان...

3 — «وليس في أصول العرب اسم فيه نون بعدها راء. فإذا مرّ بك ذلك فاعلم أن ذلك الاسم معرب»، نحو : نرجس...

4 — «وليس في كلامهم زاي بعد دال إلاّ دخيل، من ذلك الهنداز والمهندز...»

5 — «ولم يحك أحدٌ من الثقات كلمة عربية مبنية من باء وسين وتاء، فإذا جاء ذلك في كلمة، فهي دخيل». أي (بست)، نسب إليها الامام الخطابي البستي.

والشهاب الخفاجي (ت 1069 هـ) سمّى المعرب بالدخيل، وأطلق على كتابه (شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل). وكرر ما أورده الجواليقي من وسائل معرفة المعرب.

وفي المقدمة التي عقدها محمد أمين المحبي (ت 1111 هـ) لكتابه الموسوم بـ «قصد السبيل فيما في اللغة من الدخيل» (ورقة 2)، يقول : «... أجمع فيه كتابا حافلا يكون لبيان مفرداته كاملا، علما أن من ألّف فيه لم يستوف المقصود. ومنهم من وعد في ديباجته بأشياء فلم يوف بالموعود، وكتاب الجواليقي وإن كان جليلا إلا أنه يعد[16] الناظرين نزرا قليلا. وأما الخفاجي فإنه اقتصر على ما جنح إليه فكره، ولم يستوعب ما يلزم في هذا الشأن ذكره... فكتابي هذا قد جمع ما في هذه الكتب من مواد مذكورة، مع زيادات تربو عليها، أرجو أن لا تكون منكورة، فإني ضممت إليه المولّد، وغلط الخاصة والعامة، وبهذا تكون فائدته».

إلا أن الدارس لهذه المقدمة التي تقع في اثنتين وعشرين ورقة يلحظ أنه لم يضف إضافات أصيلة لما ورد في معرب الجواليقي، وشفاء الخفاجي. بل إنه عمد إلى النقل الحرفي لما فيهما : وكان هذا هو شأن معظم الدراسات القديمة إذ ينقل اللاحقون عن السابقين.

إن هذه القواعد التي صدر بها المتقدمون أعمالهم، كانت قواعد عامة، ولم تنضو تحتها المعرّبات جميعاً. ولعل السبب في ذلك أنهم نظروا إلى اللفظ الأعجمي من خلال اللغة العربية دون إحاطة باللغات الأخرى، يقول إبراهيم السامرائي(فقه اللغة المقارن ص 174) : «ولم يكن القول بعجمة لفظ من ألفاظ العربية عند الأقدمين مبنياً على البحث والدرس... وإنما كانت أقوالهم مبنية على الظن والتوهم. وعندهم أن كلّ كلمة لم يشتهر فيها استعمال جاهلي دخيلة، وإذا كانت دخيلة فهي[17] إن تكون عند أحدهم فارسية، وعند آخر عبرانية أو سريانية أو حبشية، ولم يهتدوا إلى أن بين العربية والعبرانية والسريانية والحبشية ولغات أخرى علاقات تاريخية. وربما عزوا كلمات دخيلة إلى العربية وأخضعوها لقوانين الاشتقاق في العربية».

كما أنهم لم يفرقوا بين مصطلحي (المعرّب) و (الدخيل). وقد جرت العادة لديهم أن أطلقوا العجمة على كل لفظ ليس من وضع العرب. أما المحدثون فقد انتهوا إلى التفرقة بينهما. والمعجم الوسيط رمز للدخيل بالرمز(د)، والمتتبع للألفاظ التي أوردها يلحظ أنها أسماء لمسميات لا علاقة لها بجذور العربية ولم يطرأ على نطقها أدنى تغيير، وعليه عرّف الدخيل (مادة د خ ل) : «كلّ كلمة أُدخلت في كلام العرب وليست منه» وزاد حسين نصار (المعجم العربي : نشأته وتطوره 1 / 71) : «الدخيل — يطلق في معناه اللغوي الراهن على الألفاظ الأعجمية، التي لم تغيّرها العرب، وأبقتها على صورتها الأصلية في لغاتها، أو على بنائها الأعجمي على الأقل» وقد أشار ابن كمال إليها بقوله(... كذلك نستعملها ونجعلها جزءاً منه قبله) وقد أوضح المقصود من هذه العبارة في موضع آخر من الرسالة وذلك عندما أورد مفهوم التعريب عند كلّ من الجوهري صاحب الصحاح، والزمخشري صاحب الكشاف، وخلص إلى أنهما لم يجعلا الدخيل من المعرب بقوله (ورقة 104 ب) (مع أنه يكون جزءاً من كلام العرب).

لم يهدف ابن كمال في هذه الرسالة إلى حصر الألفاظ المعرّبة كما تعودنا من الدارسين في هذا الميدان، ولكنه رغب في تحقيق الكلمة المعرّبة على حد تعبيره. ولقد رأينا فيما قدمنا به هذه الدراسة أن السلف من

(16) كذا في الأصل ولعل الأصح أن يقال : يعد عند الناظرين، أو لدى الناظرين.
(17) كذا في الأصل ولعل الأصح أن يقال فهي تكون، أو : فهي إما تكون. ويكون مقابل ما بعد إما متأخراً. وقول السامرائي لا يقبل على اطلاقه كما سيأتي.

علماؤنا قد شغلتهم مسألتا التغيير والالحاق بأوزان العرب دون أن يستوعبوا مقولة سيبويه بشموليتها() فجاءت محاولة ابن كمال تقديم تصور شمولي للتعريب لذلك نراه بعد أن بيّن صعوبة الموضوع حدّد أنواع التعريب، وجعل الكلمة المعربة في أربعة أقسام هي (103 ب) :

«أحدها : مالم تتغير ولم تكن ملحقة بأبنية كلامهم كخُراسان.

وثانيها : مالم تتغير ولكن كانت ملحقة بأبنية كلامهم كخرّم.

وثالثها : ما تغيّرت ولكن لم تكن ملحقة بها كآجرّ.

ورابعها : ما تغيّرت ولكنْ كانت ملحقة بها كدرهم.

وهذه الأقسام الأربعة تتفق مع ما ذهب إليه سيبويه في مقولته التي سبق أن وقفنا عندها. وقد مثّل ابن كمال لهذه الأقسام الأربعة، فذكر من شواهد القسم الأول (معربات لم تتغير ولم تكن ملحقة بأبنية كلام العرب ـــ الدخيل ـــ) : كخراسان...

ومن شواهد القسم الثاني (معربات لم تتغير، ولكن كانت ملحقة بأبنية كلام العرب ـــ دخيل صادف وزناً عربياً ـــ) : كخرم. قز. بخت. سُخْتْ. دست. بَقم. خُرَم.

ومن شواهد القسم الثالث (ما تغيرت، ولكن لم تكن ملحقة بها ـــ معرب صوتي للتجانس دون وزن) كآجرّ. زنديق. مهندس. جرموق. سرادق. سمرقند. دارابجرد. منجنيق. ابراهيم. فِرند. ابريسم. دست. ساباط.

ومن شواهد القسم الرابع(ما تغيرت، ولكن كانت ملحقة بهاـــ معرّب بالتغيير والالحاق) كدرهم. باذق. بريد. طست. موق. كسرى. دهقان. سياسة (سه يساه). كنيسة. قابوس. قيروان. بستان.

ثم انتقل بعد ذلك ليعرض نماذج من تحقيق المعرب (التأصيل اللغوي) ولا تخلو رسالته من إشارات لقضايا التعريب من نحو :

ـــ المعرب القرآني،
ـــ شروط التعريب،
ـــ الاشتقاق من المعرّب،
ـــ التوسع الدلالي في معنى المعرّب.

وقبل أن نأتي على عرض لنماذج من منهجه في التأصيل، نقول ابتداءً : إن ابن كمال قد لاحظ أن الذين تصدوا لدراسة المعرّب قد خلطوا فيه خلطاً شديداً، فرغم محاولتهم وضع قوانين يقعّدون فيها المسألة إلاّ أن عملهم ظلّ ينقصه الانضباط العلمي، فالشروط شائعة، والحدود غير جامعة، وكلّ قاعدة لها استثناء، وكلّ قول فيه خلاف. ولمّا كان متمكنا من اللغة الفارسية ـــ فضلا عن تمكنه من التركية والعربية ـــ وهي أكثر اللغات تأثرا وتأثيرا باللغة العربية فقد رأى نفسه مؤهلا للحكم في هذا الباب.

هذا، ويمكن اعتبار هذه الرسالة في منهجيا التأصيلي نموذجاً عشوائياً للحكم على أعمال المتقدمين في باب التعريب سواء في المعاجم أو كتب المعربات. ولقد كان همّ الباحثين من العرب محصورا في تعيين إلحاق الألفاظ المعرّبة بأوزان عربية، ولم يخل عملهم من تمحل وتحايل أحيانا، ومن ذلك ما نجده في المعرّب للجواليقي، إذ وضع (أنجر) في باب الألف باعتبارها فارسية معرّبة، على حين وضعها في باب النون. ولهذا

( ) فابن كمال عندما أثبت قول الزمخشري و الجوهري (ورقة105 أ) قال : إنّ الأول اشترط في التعريب التغيير عن منهاج أهمه. والثاني فقد اشترط الالحاق بأبنية كلام العرب. ثم قال : والمنقول عن سيبويه خلوه من الشرطين.

قال صاحب شفاء الغليل (ص 4) : «إن الأسماء الأعجمية لا توزن، لتوقف الوزن على معرفة الأصل والزائد وذلك لا يتحقق في الأعجمية».

وسنحاول في الصفحات التالية أن نلقي الضوء على ما اشتملت عليه الرسالة من قضايا التعريب من خلال بعض النماذج التي عرضها : على أن جميع الأمثلة التي أوردها ابن كمال تشتمل على إشارات من توهم المتقدمين في تأصيل الألفاظ المعربة، وقد أصاب في الأمثلة التالية : الشطرنج. الزنديق. الباذق. البريد. الطست. الجرموق. السرادق. دهقان. المنجنيق. كنيسة. البستان. الدست. السمند. كما أخفق في أمثلة أخرى، كما سنبين.

* * *

قال في (الشَطْرَنج) (*) «ورقة 105 ب» والظاهر أنه معرب من كلمتين : إحداهما (صد) ومعناها بالعربية : مئة، وثانيتهما (رنك) ومعناها بالعربية : الحيلة، والمراد من العدد المذكور إشارة إلى أن مبنى تلك اللعبة على الأفكار الدقيقة والحيل اللطيفة، وتبديل الكاف بالجيم في تعريب الكلمة الفارسية شائع ذائع كما في : نرجس، وجلنار، وجلنجبين. وعلى تقدير أن يكون أصله(شدرنج) ينبغي أن يكون معناه : زال الألم فإن تلك اللعبة سبب لتشحيذ الخاطر، لا ماذكره من صيرورة السعي باطلاً، والعناء هباء، لأن الأصل في هذه الأسماء الاشعار بالمدح لا الانباء عن الذم».

وقد تعقب ابن كمال أوهام المتقدمين في هذه اللفظة فكانت حصيلة جهوده :

1 ــ دحض رأي الحريري في إنكاره فتح الشين(18).

2 ــ ردّ على من زعم أنه لابدَّ في المعرب أن يردّ إلى ما يستعمل من نظائره من لغتهم وزنا وصيغة فقال : إنّ النحاة قالوا بخلاف ذلك مستنداً على قول سيبويه (ربما ألحقوه بأبنية كلامهم، وربما لم يلحقوه...).

3 ــ رفض رأي من ذهب إلى جواز اشتقاقه من (الشطر)، أو (التسطير) فالصحيح خلاف ذلك.

أقول : تظل إضافة ابن كمال في تأصيل هذا اللفظ ذات قيمة بمقابلتها بما ورد عن صاحب القاموس والخفاجي في الشفاء، وصاحب التاج، وأدى شير (ص 100)، وغيرهم. ولكن جاء في (الألفاظ الهندية المعرّبة) للباحث محمد يوسف في مجلة (اللسان العربي، مجلد10، ص 134) : «اللعبة من ابتكار الهند chaturanga». ويقول فؤاد حسنين علي (الدخيل في اللغة العربية ص 57) : «شطرنج : لعبة مشهورة يلعبها إثنان عادة. من الهندية فهي في السنسكريتية تشطورنجا : أي أربعة أقسام «أي جيش». ثم انتقلت إلى الفارسية ومنها إلى العربية.

وعند تحليله للفظ (الزنديق)(**) عرض لتفسير الجوهري له، ولكنه قال (ورقة106 ب) «سكت عن بيان أصله من لغة العجم كأنه لم يقف عليه، ووهم فيه صاحب القاموس حيث توهم أنه معرّب

(*) بفتح الشين وسكون الطاء وفتح الراء.

(18) لم يذكر فيه ابن السكيت إلاّ الفتح. وإلى ذلك ذهب ابن بري أيضاً. ولا ضير في الفتح ومخالفة أوزان العرب لأنه معرب، ولا يشترط فيه أن يجيء على قواعد العرب من كل وجه.

(**) بكسر الزاي والدال وسكون النون : القائل بالنور والظلمة. أو من لا يؤمن بالآخرة، أو مَنْ يبطن الكفر (كلها حكم عن أدى شير، الألفاظ الفارسية ص 80)، وفي المعجم الوسيط (مادة «تزندق» في حرف الزاي) : من يؤمن بالزندقة، أي مذهب القائلين بدوام الدهر من أصحاب زرادشت. معرب (زنده كرد).

(زندين). والصواب أنه معرب (زنده)... وزعم الفاضل الشريف (الجرجاني) أنه معرب (زندي). حيث قال في شرحه للمفتاح وحواشيه المنقولة عنه :

* وصير العالم النحرير زنديقا *

أي مبطنا لكفر نافيا للصانع الحكيم، أو قائلاً باثنين : خالق الخير، وخالق الشر فنسب مثل هذه الأمور إلى خالق الشّر، وهو مذهب المجوس...».

وبالاضافة إلى هذا فقد وَهَّن تأصيل الامام المطرزي صاحب المغرب، رغم أنه ناقل عن ابن دريد. فكأنه بذلك لم يستثن أحدا من المتقدمين ثم انتهى إلى القول (ورقة 107 أ) : «وإنما رجحنا القول بأنه معرب (زنده) على القول بأنه (زندي) لأن الياء في آخر الكلمة لمطلق النسبة في لغة الفرس والهاء فيه للاختصاص والانتساب الخاص. يرشدك إلى هذا الفرق ما في (بنجه) و (بنفشه) من النسبة اللازمة إلى العدد المخصوص واللون المخصوص. وما في (شهري) و(سپاهي) من النسبة غير اللازمة إلى المكان المخصوص والصنف المخصوص... ولا يذهب عليك أن المناسب لحال المنتسبين إلى (الزند) هو الثاني[19] دون الأول، ثم إن إبطان الكفر ليس من أصل معنى (الزنديق)، ولم يقصده الشاعر بقوله :

* وصيّر العالم النحرير زنديقا *

كيف والمنسوب إلى (الزند) مظهر لكفره لا مبطن له، فالفاضل المذكور لم يصب في تفسيره بقوله : مبطناً للكفر».

والجدير بالذكر أن ابن كمال التفت إلى مسألة تعميم دلالة المعرب. فلقد أباح العرب لأنفسهم تغيير معاني بعض الألفاظ المعرّبة، استجابة لحاجة، أو إرضاء لنزعة. ففي الزنديق قال الجواليقي : (المعرب ص 214 وما بعدها) : «إذا أرادت العرب معنى ما تقوله العامة قالوا (مُلْحِد) و(دَهْري). فإذا أرادوا معنى السِّن قالوا (دُهْري) — الأولى بفتح الدال والثانية بضمها —... قال وسألت الرياشي أو غيره عن اشتقاق (الزندقي) ؛ فقال : يقال رجل (زندقي) : إذا كان نظّاراً في الأمور. وسألت أباحاتم، فقال : هو فارسي معرّب. أي الدنيا (زنيدة) فقط إذا حيّا بالدهر» ولابد من الاشارة هنا إلى أن العبارة غير واضحة. ولقد لحظ ذلك الشيخ أحمد شاكر، وقال عندها «هكذا في النسخ المخطوطة» وفي : ب «إذ نحيي بالدهر».

وقد أشار ابن كمال إلى التوسع في كثير من الألفاظ التي حللها ومن ذلك : الدست، المهندس، الباذق، كسرى، الكنيسة، البستان، الدهقان.

فالدست في الفارسية : اليد. ويأتي في العربية لمعان عدة : اللباس. الوسادة. الحيلة. دست القمار (ورقة 116 أ).

والبستان في الفارسية من (بوستان) : موضع الرائحة. وفي العربية : أرض ذات حائط فيها أشجار (ورقة 116 أ).

وفي (الدهقان)(*) قال ابن كمال (ورقة 111 أ). «فإنه معرب (ده خان)، وهو معرب من كلمتين : إحداهما (دَه) ومعناها : القرية، والأخرى (خان) ومعناها : الرئيس[20]، وقد مرّ أن في لغة الفرس يقدّم المضاف إليه على المضاف، عند جعل المركب منهما علما، فأصل (ده خان) : خان دِه،

---

(19) في برهان قاطع ما ترجمته : زنديك : بالفتح، يطلق على الشخص الذي يعمل بأوامر ونواهي كتاب ال (زند). ومعرّبه : زنديق. والزند كتاب (مزدك) الذي ظهر في زمان (قباذ) وأباح الفروج، فقتله أنوشيروان.

(*) في اللسان (مادة د هـ ق)، بضم الدال وكسرها : التاجر، فارسي معرّب.

(20) في كتاب أدى شير (الألفاظ الفارسية) أو دهكان.

ومعناها : رئيس القرية. صرح بذلك القاضي التفتـــازاني، حـــيث قـــال في شرح الكشاف : «الدهقان : رئيس القرية، ومقـــدم أصحاب الزراعة، وهو معرب» انتهى كلامه. وما ذكره شمس الأئمة السرخسي في شرح المبسوط من أن (دهقان) : اسم لمن له متاع وأملاك ليس بذلك، فإن قلت : فعلى ما ذكره يكون (دهقان) من الألقاب الشريفة المشعرة بالمدح والتعظيم. وقد ذكر في كتب الفقه في عداد ما يقذف به، قلت : قد تعرض الامام المذكور في الشرح المزبور لهذا الاشكال. وذكر وجه الاخلال حيث قال : لو قال لعربي يا دهقان لأحدّ عليه، وهذا من أعجب المسائل، فلفظ (الدهقان) فينا للمدح والتعظيم وقد ذكره يعني محمّداً (ابن الحسن الشيباني) في جملة القذف، وهذا لأنّ العرب يستنكفون من هذا الاسم، ولا يسمون به إلاّ العلوج، فلازالة الاشكال ذكره، وبيّن أنه ليس بقذف».

أقول : لقد اكتسب اللفظ بتعريبه صفة جديدة وقد أدّى تعريبه إلى تغيير شكله وجرسه ودلالته. فالدهقان عند العرب : الكبير من كفار العجم. وكان العرب يستنكفون من هذا الاسم، وقد غلب على أهل الرساتيق منهم، ثم قيل لكلّ من له عقار كثير : دهقان. والجمع دهاقين ودهاقنه (انظر التقريب لأصول التعريب للجزائري ص 41). وفي (المعرب للجواليقي ص 194) : « هو التاجر، أو القوي على التصرف مع حدّة».

* * *

وكنموذج لتوهم المتقدمين في التأصيل اللغوي الموفق عند ابن كمال عرضه للفظ (الطست) (108 ب) : «فإنه معرّب (طشت)، وهو لفظ فارسي، وهم فيه الامام المطرزي حيث قال في المغرب : (الطست) مؤنثة، وهي أعجمية، و(الطَّسُّ) تعريبها، فإنه كما لم يصب في قوله : أن الطست أعجمية لما عرف أنها معرّبة، إنما الأعجمية لفظة (طشت)، كذلك لم يصب في قوله : و(الطَّسّ) تعريبها، لأن (الطس) مرخم (الطست) كما أنّ (طشّ) مرخم (طشت)، قال الشاعر الفارسي :

قطار استرديزه صَدوسي

كه بارَشْ طشت وطشخان بودنيستي

وكذا الجوهري أخطأ في قوله : إنّ الطشت عربي أصله الطّسّ بلغة طيىء، أبدلت من إحدى السينين تاء للاستثقال، فإذا جُمعت أو صغرت ردت السين، لأنك فصلت بينهما بألف أو ياء، فقلت : طساس أو طسيس، وتبعه صاحب القاموس حيث قال : الطست والطسّ أبدل من إحدى السينين تاء. وصاحب المجمل أيضاً غافل عن تعريبها حيث قال : والطس لغة في الطست».

إذن جميع من تناول هذا اللفظ كان واهماً في تأصيله، ولقد أغربوا في التأويل. واستكمالاً نثبت هنا ما ورد في (شفاء الغليل ص 176)[21] : «معرّب طشت» ثم نقل ما ورد عن المطرزي دون تعليق. ولكن أدّى شير (ص 112) يقول : «الطَّسُّ : إناء من نحاس لغسل اليد تعريب تَشْت، والطَسْت والطشت والطسة لغات... وفي اللسان التركي : تاس وتَسْت».

ومنها (السرادق)، فإنه معرب سراطاق، تتبع ابن كمال أوهام الجوهري فيه فقال (ورقة 109 ب) : «كأنه غافل من كونه معرّباً» وصاحب القاموس لم يحسن توجيه اللفظ. كذلك وَهِمَ الفاضل الشريف،

(21) ولم يخرج الجواليقي (المعرب ص 570) عما ذكره المطرزي.

حيث زعم أنّه معرّب(سُرابرده) وهو إسراف في التكلف والتوهم. قال ابن كمال (ورقة 109ب) : «وأصل (سراطاق) : (طاق. سرا) قدّم المضاف إليه كما هو قانون تلك اللغة، عند جعل المركب منها اسما، مثلا يقولون : (شاه شاهان)، وإذا جعلوهما اسماً يقولون : (شاهانشاه). إلاّ أنه غير مطرد لأنهم كثيرا ما لا يغيرون الترتيب، بل يكتفون بقطع الاضافة، مثلا يقولون : (خواجه سراي) و(بستان سراي)».

لقد التفت ابن كمال في مسألة التأصيل اللغوي إلى أهمية الكواسع affixation (التصدير =prefixation) و(التوسيط = infixation) و(الالحاق = suffixation).

ومن الكواسع التي استغلها لتأييد وصمه أعمال المتقدمين بالتوهم : اللاحقة (بان) أو (ان) — وهي لاحقة تدل على الحفظ والحراسة، نحو : أبادان. اسيابان. قيروان.

و(ان) لاحقة في الفارسية القديمة تدل على النسبة أو على البلاد التي تنسب إلى العَلَم، أو علامة الجمع، نحو : خراسان. دهقان. ولكن (ستان) — لاحقة مكانية كما في (بستان) وأصلها من بو + ستان كما تقدم و(دار) تدل على صاحب الشيء، كما في (دارابجرد).

* * *

وعلى الرغم أن ابن كمال أظهر مقدرته في تتبع أوهام من تصدروا للتعريب فعاب عليهم جهلهم باللغة الفارسية، وأنهم توسعوا في دلالة اللفظ المعرّب إلاّ أنه عندما طبق تقسيمه الرباعي لأنواع المعرب وقع في أخطاء وأوهام، ومن ذلك أن جعل أول الأقسام (ما لم تتغير و لم تكن ملحقة بأبنية كلامهم كخراسان)... إلاّ أنه سرعان ما قرر أن (التغيير معتبر في حد التعريب)(٥) (ورقة 115 أ) — فضلا على أنه لم يتقيد بتصنيف الأمثلة حسب خطته. ومن ذلك أيضاً أنه ذكر (الآجرّ) في أكثر من موضع، الأول : قال (ورقة 103 أ) : (وثالثها ما تغيرت، ولكن لم تكن ملحقة بها كآجرّ) — ومن المعروف أنه يعني بالتغيير هنا الابدال الصوتي بما يوافق الأذن العربية. أما الالحاق فيعني وضعه على وزن صرفي

---

(٥) نستطيع من تضاعيف الرسالة أن نلمح تعدد طرق الابدال التي سلكها العرب في تغيير شكل الكلم الأعجمي وجرسه. ويكفينا الاشارة هنا إلى بعض الأمثلة التي أوردها ابن كمال نضع إزاءها أصلها الفارسي :

اللفظ المعرب	الأصل الفارسي	ملاحظات
فرند	برند	ذكر الخفاجي (شفاء الغليل ص 4 — 5) : «والحروف المبدلة
دست	دشت	عشرة : خمسة يطرد إبدالها وهي : الكاف والجيم
شطرنج	شترنج	والقاف والباء والفاء. مما ليس في كلامهم وهي
سمرقند	شمركند	المخلوطة. وخمسة لا تطرد، وهي : السين
مهندس	مهندز	والشين والعين واللام والراء. وكل حرف
نرجس، جلنار	نرجس، كلنار	وافق الحروف العربية. والحاء قد تبدل
كسرى	خسرو	من الجاء..وهذا كلّه أغلبي».
قابوس، قيروان	كاووس، كاروان	
زنديق	زنده	
جرموق	جرمه	
ابريسم	إبريشم	

عربي، وهذا ماذهب إليه سيبويه من قوله : (ربما غيّروا الحرف الذي ليس من حروفهم ولم يغيّروه عن بنائه في الفارسية نحو : فِرند، وبَقم، وآجُر، وجُرْبُز). يقول الجزائري (التقريب ص 6) : «اعلم أنهم يغيّرون الكلمة الأعجمية وقد يبقونها على حالها إلاّ أن التغيير أكثر فيبدلون الحروف التي ليست من حروفهم إلى أقربها مخرجا ــ وربما أبعدوا الابدال في مثل هذه الجروف ــ وهو لازم لئلا يدخل في كلامهم ماليس منه فيبدلون حرفا بآخر ويغيرون حركته وينقصون ويزيدون».

والثاني : ذكر (الآجرّ) كمعرّب دون بيان مكانه في التقسيم الرباعي، فقال (104 أ) : «والآجرّ : الذي يبنى به معرب»، ذكره الجوهري.

والثالث (ورقة 1) : «الآجرّ : وهو الطين المطبوخ، ذكر في المغرب والصحاح والقاموس أنّه معرّب. (وكأن الجوهري نسي ما شرطه في التعريب، من الالحاق بأبنية كلام العرب) ــ وهنا يستوقفنا قوله : (وكأن الجوهري نسي... الخ) ونفهم أن ابن كمال يخالف الجوهري في مسألة الالحاق، رغم أنه نقل عن الجوهري، قوله الأخير (ورقة 104 ب) (أن شرط التعريب أن تتفوه به العرب على منهاجها)... فهل (التفوه) هو الالحاق دون الابدال ؟؟. ــ انظر أيضا ما نقله عن الجوهري في (البخت) ورقة 115 ب.

ومن الجدير ذكره هنا أن المعجم الكبير(1 / 6) والمرجع للعلايلي ذكرا أن (الآجر) : «معرب agura.آجورا السريانية أصلاً من aguraa أُجُرّ في الأكدية. (وهذه أيضا أصل آكورالفارسية) : الطين المحروق يبنى به».

وقال في (الفرند) : (ورقة 113 ب) : (ومنه الفرند : قال الجوهري في الصحاح : «فرند السيف : ربده ووشيه» ولم يزد عليه، وفي القاموس : «ربد السيف وجوهره ووشيه : معرّب». وأنت خبير أن شرط التعريب مفقود فيه).

أقول : لم يوضح لِمَ كان شرط التعريب مفقوداً فيه ؟. والكلمة بيّنة العجمة بوزنها الغريب على العربية، واستحالة ردّها إلى أصل اشتقاقي. جاء في المعرّب للجواليقي (ص 55) : «وأبدلوا الحرف الذي بين الباء والفاء فاءً، وربما أبدلوه باءً. قالوا : (فالوذ) و(فِرند) ــ بكسر الفاء والراء ــ وقال بعضهم (بِرنْد)» ــ أي أن صوت (الفاء) مشوبة بين الفاء والباء على نهج تلك اللغة. وفي المعرب أيضا (ص 114) : «والبِرند : جوهر السيف وماؤه. لغة في (الفِرند) مثل : إنه أعجمي معرب. ويمكن أن يكون عربياً، ويكون من (البَرْد)ــ بفتح فسكون ــ والنون زائدة، لأن السيوف توصف بذلك» وهذا من جملة أوهام صاحب المعرب. واللفظ في معجم ستانغس ص 244 بالباء الفارسية.(پرند= parand) ومعناه : The glittering surface of a polish sword، وكذلك في المعجم الذهبي (پَرنْد) ــ بباء فارسية ثقيلة P وفتح الأول والثاني وسكون الثالث ــ لذا جاء في تعريبها تغيير الباء الفارسية إلى الباء العربية لا الفاء. جاء في مقدمة الجمهرة (ص 4) لدى الحديث عن كلمة (بور) إذا اضطرت العرب إلى نطقها قالت (فور) بين الفاء والباء، وقابل بالصاحبي (ص 25).

وفي المخصص (جزء 16 ص 18) : «فرند السيف، قال أبو عليّ وهو البِرَند ــ بكسر الأول وفتح الثاني ــ قال سيبويه هو فارسي معرّب».

والخلاصة أن لفظ (فرند) معرّب يمكن إدراجه تحت القسم الثالث من أقسام ابن كمال ــ مغيّر غير ملحق. وإذا اعتبرنا فاء (فرند) أصلية، وأن اللفظ من الدخيل المحضّ كخراسان وسوسن وسخت وبخت

فهو معرب من باب القسم الأول من تقسيمات ابن كمال.

وقال في (البُخْت)(*) (ورقة 115 أ) : (البخت: قاله الجوهري ووافقه صاحب القاموس : «البَخت : الجد، وهو معرّب». ولم يصيبا في النقول بالتعريب، لانه غير مغير، وقد مر ان التغيير معتبر في حد التعريب. والجوهري معترف به، ثم قال : والبُخت من الابل معرّب أيضاً...).

أقول : وعلى ما نحو ما بيّنا في (الآجر) و(الفرند) فإن حدّ التغيير يمكن تجاوزه في المعرب إذا كانت حروفه من جنس الحروف العربية. بل إن ابن كمال نفسه يقول (ورقة 106 أ) : (... واعلم أن اللفظ المعرب إذا كان موافقا لواحد من أبنية لغة العرب جاريا على وفق أصل من أصولهم كخُرّم فلا حاجة في تعريبه إلى التغيير).

ذكر ابن منظور (اللسان مادة ب خ ت) : «البخت : دخيل في العربية أعجمي معرب» — ويمكن إدراجه تحت القسم الأول من تقسيمات ابن كمال.

ويبدو أن ابن كمال في هذا اللفظ شارك الأزهري فيما نقله عنه صاحب اللسان حيث قال «لا أدري أعربي هو أم لا». وفي معجم الألفاظ الهندية (مجلة اللسان العربي مجلد 10، ج 1 ص 109) — أن (البختية) لفظة هندية Bactria نطقت بها العرب قديما.

ولعل من أشد أخطائه توهمه أن لفظ (السياسة) : معرب من (سه يسا) يقول (ورقة111 أ) : (السياسة : فإنه معرب (سه يسا)، وهي لفظة مركبة من كلمتين أولاهما أعجمية، والأخرى تركية، فإنّ (سه) : بالأعجمي : ثلاثة . و(يسا) بالمغلّي : الترتيب، فكأنه قال : التراتيب الثلاثة. وسبب هذا التركيب على ما ذكر في النجوم الزاهرة : أن جنكيز خان ملك المغل كان قد قسّم ممالكه بين أولاده الثلاثة وجعلها على ثلاثة أقسام، وأوصاهم بوصايا لم يخرجوا عنها. وبقي فيما بينهم إلى يومنا هذا مع كثرتهم، واختلاف أديانهم فصاروا يقولون : (سه سيا) يعني التراتيب الثلاثة التي رتبها جنكيز خان، فتثقل ذلك على العامة، فعربوها بتغيير الترتيب فقالوا : سياسة).

أقول : هذا قول غير محوج إلى التنبيه على ضعفه في التأويل وشططه في التأصيل. ولم أجد من وجّه هذا اللفظ هذا المنحى، ومن الغريب أن يظاهر ابن كمال فيه مقولة ابن تغردى بردى (ت 874 هـ) دون تمحيص، وهو الذي عودنا أن يقلّب جوانب المسألة من وجوهها. وحسبنا ما قدمنا من تخطئته لكبار العلماء. وتجدر الاشارة إلى الملاحظات التالية :

1 — لفظة (السياسة) بمعنى : استصلاح الخلق بإرشادهم إلى ما فيه مصلحتهم، أو النهج المتبع في تدبير مرافق الحياة العامة، ومنها : السياسة المدنية، والسياسة التربوية، وسياسة السوق الحرة — أقول أن اللفظ بمفهومه الحديث : مولد توليداً معنوياً، والمولد على ما جاء في المعجم الوسيط : «المولد من الكلام : كلّ لفظ كان عربي الأصل ثم تغير في الاستعمال. أو هو اللفظ العربي الذي يستعمله الناس بعد عصر الرواية».

2 — اللفظ عربي فصيح متصرف وهو مصدر ساس الناس يوسهم سياسة. ورد في جمهرة اللغة لابن دريد (ت 321 هـ) : «وسُسْت القوم أسُوسهم سياسة —

(*) بفتح الباء بمعنى الجد والحظ. وبضم الباء : جمل ذو سنامين. تسمى الابل الخراسانية تجمع على بَخاتي وبَخاتى وبَخات، ويقال جمل بُخْتِيّ وناقة بختية.

وكذلك الدواب ــ» المجلد الأول ص 179.
وقال الجوهري في الصحاح (ت 393 هـ) ــ مادة س و س ــ : «سُسْتُ الرعية سياسة وسُوِّسَ الرجل أمور النابس، على مالم يسم فاعله، إذا مُلِّكَ أمرهم». وجاء في اللسان لابن منظور (ت 711 هـ) : «وساس الأمر سياسة قام به وسوّسه القوم جعلوه يسوسهم، أما صاحب القاموس (ت 817 هـ) فقد قال : «وسُسْت الرعية سياسة : أمرتها ونهيتها. وفلان مجرّب قد ساس، وسيس عليه : أدّبَ وأُدِّبَ»

3 ــ إن بين مؤلفي الجمهرة والصحاح واللسان والقاموس وولاة جنكيز خان (ت 644 هـ / 1227 م) بوناً واضحاً من الزمن، والعجب كيف خفي هذا مع شدة وضوحه وكثرة وقوع هذه اللفظة في الكتب المتقدمة على عصر جنكيز خان.

4 ــ على أنه يمكن أن يفهم مسلك ابن كمال في تعريب هذه اللفظة (سه يسا) وهي دخيلة قد صادفت إيقاعاً صوتياً للكلمة العربية (سياسة)، ومن قبيل المصادفة أن تحمل كلاهما في الدلالة معنى الرعاية والحكم. وهذا شبيه باللفظ الدخيل تكنولوجيا Technology، والتي عُرِّبت ب (التِّقنية) أو (التكنية) للدلالة على : التطبيق العملي لنظريات العلم. يقول عبد الصبور شاهين (اللغة العربية لغة العلوم ..ص 318) : «من الواضح أن مصطلح (التقنية) قد جاء موفقا لما في أصواته من توافق بينه وبين المقابل الانجليزي..».

ثم ناقش (شاهين) احتمال عربية اللفظ بعرضها على مادة (ت ق ن) العربية وانتهى إلى أنه لا صلة له بالصيغة المحدثة (تقنية) التي جاءت بصيغة المصدر الصناعي المكون من صدر هو (تِقن)، ولاحقة هي (ية) على الرغم من الايحاء الصوتي والدلالة. ورجّح أنها معربة جاءت على وزن الكلمة العربية، وقد غيّرت فيها الكاف إلى قاف، وأُلحقت بها لاحقة المصدر الصناعي. فصارت الكلمة (تقنية) ذات الملامح العربية، ويشبهها في ذلك النسب إلى (إنسان) حيث يقال : (إنسانية Humanism). ومن الجدير بالذكر هنا أن مجمع اللغة العربية قد أجاز التوسع في قياسية المصدر الصناعي لتيسير الترجمة في نقل الكلمات المنتهية باللاحقة (ism)، أو صوغ اسم المعنى من الجوامد مثل : حمضية، مائية. عنصرية. رجولية. دخانية. دموية. مزاجية. مفهومية...

وبقي أن نقول : من المناسب مراعاة كسر تاء (تِقنية) لتدل على أصل الكلمة الدخيلة Technology، من جهة، ودفعاً لأن تلتبس ب (أتقِن) من جهةأخرى ﴿صنع الله الذي أتقن كل شيء﴾. ومن المعروف أن الاتقان دوما إجادة وتحسين بينما قد تحمل التقنية الجانبين، فكما نقول تقنية جيدة، يمكن أن نقول : تقنية رديئة طالما كانت التقنية هي التطبيق العملي لنظريات العلم.

5ــ إن هذا يلقي الضوء على ظاهرة تعدد لغات المعرب. والحقيقة أنها ليست لغات، إنما هي أبنية وافقت العربية في وزن أو أكثر، أو استوت مع وزن أو أكثر من حركة البناء، كما قال أبو ابراهيم الفارابي (ديوان الأدب 2 / 84). فمطران مثلا ــ بفتح الأول وكسره ــ بوزن فِعلان، أو مِفعال، أو فعلان، ولهذه الكلمة نظائر في الأبنية العربية، ولعل هذا هو السبب الذي سمح بتعدد لفظها أو بنائها، كما سيأتي.

ثالثا ــ تأصيل الألفاظ المعربة

1.1. المنهجية في التأصيل :

إننا لا ننكر قيمة التأصيل اللغوي في باب المعربات، ولا نستطيع أن نتجاهل الحقائق التي كشفت عنها هذه الرسالة حين حكمت على جهود اللغويين المتقدمين إذ وضعت أعمالهم جميعها في قفص الاتهام وانتهت إلى أنهم كانت تعوزهم وسائل البحث اللغوي من وثائق تاريخية، أو معرفة جيدة باللغات التي اقترض منها العرب فعمدوا إلى تحكيم حسّهم وملكتهم اللغوية عند الحكم على الكلمة الأعجمية فكثرت أوهامهم، ولم يقطعوا برأي فيما ادعوا عجمته.

ونحن لو عممنا ما أراد ابن كمال أن يقرره ــ ولحسن الحظ أنه لم يستطع ــ لوجب علينا أن نسدل الستار على جميع دراسات المتقدمين من الأسلاف لأنهم توهموا في تحقيق الكلم الأعجمي المعرب ــ أعني تأصيله ــ والمحدثون اليوم يرون أن فيما خلّفه لنا المقدمون تراثاً ــ ليس من المنطق أن نضحي به ــ نستعين فيه على مواجهة الجديد الوافد من ألفاظ الحضارة التي فاق فيها التبادل الحضاري أضعاف ما كان عليه بالأمس. وتصدّرت قضايا الترجمة والتعريب والاقتباس مكان الصدارة في المحافل العلمية، وبات البحث عن حلول مدروسة بعيدة عن الارتجال من أهم ما توليه هذه المؤسسات العلمية اهتمامها[22].

ولا ضير على المتقدمين أنهم اعتمدوا السليقة اللغوية في الحكم على المعربات فللغة العربية مزايا تنفرد بها عن سائر اللغات، وهي لغة متكاملة البناء والنضج تكفّل القرآن الكريم لها بقدر عظيم من الثبات في جانبيها الصوتي والتركيبي وبنى أساسها على ركيزة الاشتقاق اللغوي(*) لذا سهل على العرب الحكم على المعرب الأعجمي لبقية فيه تشهد على غرابته عن لغة العرب، ولكن لم يكن يعنيهم كثيرا أن ينسبوه إلى لغته. ومن مظاهر الحسّ اللغوي في الحكم على المعرب ما نجده عند الخفاجي في «شفاء الغليل» قوله : «ومما يعرف به المعرّب اجتماع الجيم والقاف فإنهما لا يجتمعان في كلمة واحدة من كلام العرب إلاّ أن تكون معرّبة أو حكاية صوت، فالأول نحو : الجردقة للرغيف، والجرموق والجرامقة لقوم بالموصل. وجوسق وجلق وجوالق للوعاء... والثاني كجلنبلق لصوت الباب. ولا تجتمع الصاد والجيم في كلام العرب، فالجص والصنجة والصولجان وعربيته المحجن... ولا نون بعدها راء، فنرجس ونورج معربتان. ولا زاي بعد دال فمهندز وهنداز معربة ولذا أبدلوها سيناً وهو معرب اندازه...»[23]

والباحث لا يقدم شواهد على تقصير المتقدمين عن الاحاطة بتأصيل الألفاظ الأعجمية. وقد يكون لموقف الأئمة من مسألة المعرّب في القرآن ــ بكل ملابسات هذه القضية ــ وتباين آرائهم فيها نقطة البداية في باب التقصير هذا. ولكننا لو ذهبنا ننظر في قيمة أعمالهم لرأينا أنهم آثروا الدراسة الوصفية على جانب التحليل النظري واكتفوا بالتطبيق وبتدوين الدخيل والمعرّب. وعندما كانوا يتقحمون على البتّ في أصل لفظة أعجمية فإما أن يلجئوا إلى النقل بالأثر

---

(22) كان آخرها ما يقوم به مكتب التربية العربي لدول الخليج في الرياض منذ 1983 م من إعداد دراسات عن قضايا الترجمة ومشكلاتها وحلولها بهدف تكوين أكاديمية قطرية للترجمة والتعريب فضلا عن جهود مجامع اللغة العربية الستة ــ آخرها مجمع الجزائر1986 ــ بالاضافة إلى جهود مكتب تنسيق التعريب في الرباط (انظر : محمد رشاد الحمزاوي، المنهجية العامة لترجمة المصطلحات... ص ص 13 ــ 14).

(*) إن تجمع الألفاظ العربية في أصل واحد ــ ثلاثي غالباً ــ ينتظم فروعها يعتبر معياراً للتمييز بين الأصيل والدخيل إضافة للذوق العربي وأصالة حسّه اللغوي.

(23) شفاء الغليل بتصحيح الغساني، مطبعة السعادة ص 7، وقابل بالمعرب للجواليقي ص59 .

كأن يقولوا : عن فلان عن فلان... أو يقيسوا اللفظ الأعجمي على نظائر أصوله العربية متكئين على مزايا العربية في أصواتها وأبنيتها وأوزانها، أي أن مسلك التأصيل عندهم لم يكن ليكشف عن أصل الكلم الأعجمي في لغاته بقدر ما كان يكشف عن أسرار العربية وقدرتها لتحمل مرادفاتها بذور معاني ألفاظ اللغات الأخرى. ومازال هذا المسلك في التأصيل جاريا لدى بعض المحدثين. ونعرض فيمايلي أمثلة للطائفتين :

. (الأُطْرُبون) :

قال الجواليقي في المعرب(ط. دار الكتب ص 74) : «والأُطْرُبون : كلمة رومية[24]، ومعناها المقدم في الحرب. وقد تكلمت به العرب، قال عبد الله بن سَبْرَة الحَرَشي[25] :

فإن يكن أطربون الروم قطّعها
فقد تركت بها أوصالَه قطعا

وإن يكن أطربونٍ الروم قطّعها
فإنّ فيها بحمد الله منتفعا

يعني أصابعه».

وقال صاحب تاج العروس (مادة ط ر ب) : «والأطربون : البطريق. كذا في شرح الأمالي للقالي. وحكي عن ابن قتيبة : أنه رجل رومي. وذكره الجواليقي. وقال ابن سيده : هو الرئيس من الروم. وقال ابن جني في حاشيته : هي خماسية كعضرفوط فعلى هذا وضعه النون والهمزة. والصواب : أن وزنه أفعلون من الطرب. وهذا موضع ذكره. استدركه شيخنا».

وشرح المادة يعقوب بكر (دراسات مقارنة في المعجم العربي ص 70) : «أصل كلمة الأطربون لاتيني هو tribunus. فتطلق هذه الكلمة في الاصطلاح العسكري على كلّ من القواد الستة الذين كانوا يتناوبون قيادة الفرقة من فرق الجيش الروماني، كلّ منهم شهرين في السنة. وترد الكلمة اللاتينية في السريانية أيضاً : طريبُونا، وكذلك في الآرامية اليهودية طريبُونوس».

ثم ذكر أن المؤرخين العرب قد خلطوا بين لقب قائد الروم ــ أطربون ــ والأرطبون وهو اسم علم (حاكم الروم على بيت المقدس إبّان فتح العرب لفلسطين. وقد اشترك في معركة أجنادين[26] سنة 13 هـ، والتي هُزم فيها الروم). وخلص أن اسم العلم ــ أرطبون ــ محرف (أربطيون) وأن هذا التحريف أعان عليه الخلط بين العلَم وبين الأطربون بمعنى القائد عامة.

وعلق أنستاس الكرملي (المساعد1 / 247) على ما ورد في تاج العروس بقوله : «قلنا الأطربون غير البطريق... وقول ابن جني أنه خماسي هو القول الحق الذي لا ريب فيه. وأما قول الشارح : أن وزنه أفعلون من الطرب، فالقسم الأول من عبارته صحيح، أي أن وزنه أفعلون. وأما القسم الثاني أنه من الطرب، فهو الخطأ بعينه، لأن الكلمة ليست عربية بل هي رومية (لاتينية) tribunus وهو حاكم عند الرومان... وهل يعقل أن الرومان يسمون رئيساً من رؤسائهم باسم عربي ؟ هذا لا يعقل، فموضوع ذكره إذن في (أ ط ر ب و ن) لأن جميع أحرف

(24) في شفاء الغليل ص 35، معرب اتربوس. والصحيح «تريبونوس» كما حققه صاحب المساعد 1 / 247.

(25) مجاهد في عصر صدر الاسلام، شارك في فتوح بلاد الشام، قاتل بطريقاً من الروم، فاختلفا بضربتين، فقتل عبد الله الرومي، وقطع الرومي أصابع عبد الله، فرثاها بأبيات منها هذان البيتان (الأمالي 1 / 47 ــ 48) وفي الطبري برواية أرطبون الروم (نقلاً عن المعجم الكبير 1 / 347).

(26) قرية بفلسطين جنوب الخليل على طريق بيت جبرين وغزة، يطلق عليها العسكريون باب فلسطين لموقعها الاستراتيجي المتميز منذ غزوات الفراعنة وانتهاءً باحتلال الانجليز لفلسطين في مطلع القرن العشرين. وفي واقعة أجنادين المشهورة سنة13 هـ انتصر المسلمون على الروم، وفيها قال زياد بن حنظلة : عشية أجنادين لما تتابعوا وقامت عليهم بالعراء نسور.

الكلمة الدخيلة أصول كما اتفق عليه جمهرة اللغويين بلا شاذ منهم. (وقال) : وكنت قرأت في أحد كتب الأدب : أن الأطربون رئيس الروم، وسمي كذلك لأن رؤساءهم كثيرو الطرب، ومن الغريب أن ينطق أديب بهذا التعليل، فهل كان الرومان يحسنون العربية حتى يشتقوا هذا الاسم من العدنانية... فتأمل ظاهر الوهم والتصحيف».

و (القُلْزُم) :

جاء في لسان العرب مادة (ق ل زم) : «وبحر القلزم مشتق منه (أي من القلزمة وهو الابتلاع) وبه سُمي القلزم لالتهامه مَنْ ركبه، وهو المكان الذي غرق فيه فرعون وآله. قال ابن خالويه : القلزم مقلوب من الزلقم وهو البحر. والزَّلْقَمَة الاتساع. وقوله :

* قد صبَّحَتْ قُليزماً قذوماً *

إنما أخذه من بحر القلزم شبه البئر في غزرها به وصغرها على جهة المدح».

وقال أيضاً في مادة (زل ق م) : «ابن بري : الزَّلْقَمة : الاتساع، ومنه سمي البحر زلقما وقلزما. عن ابن خالويه».

جاء في المساعد (1 / 217) : «لما أنشىء ثغر القُلزم وهو باليونانية «klysma» وكان بقرب أرْسِينُوَة = Arsinoe سمي بحر القلزم ومعنى القلزم : الموطن الذي تضربه اللجج» وكرر القول في الجزء الثاني ص 157 : «... لأن القلزم، هو السد باليونانية، وقد سُمي به الثغر».

ومما يؤيد ماذهب إليه الكرملي من إطلاق التسمية باسم السدّ حيث تضطرب الأمواج تسميتهم البحر الأحمر بالبحر الباكي حيث ينتهي بباب المندب... باب البكاء والعويل[27].

ومنه (إلياس) :

جعله ابن دريد عربيا، فقال في (الاشتقاق ص 30) : «يمكن اشتقاق إلياس من قولهم : يئس ييئس يأسا، ثم أدخلوا على اليأس الألف واللام. ويمكن أن يكون من قولهم : رجل أَلْيَسُ من قوم ليس، أي شجاع، وهو غاية ما يوصف به الشجاع. هذا لمن يهمز إلياس. والتفسير الأول أحبُّ إليّ».

ومع إقرار صاحب الصحاح بعجمته إلاّ أنه أورده في مادة (ألس) قال : «وإلْياسُ : اسم أعجمي، وقد سَمَّت العرب به، وهو إلياس[28] بن مُضَر بن نزار بن معدّ بن عدنان».

وجمع شهاب الدين الخفاجي الرأيين السالفين مع تقارب في اللفظ، فقال في (شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي ص 30) : «إلياس : اسم نبي واسم جد للنبي ﷺ غير عربي. وقيل : عربي، وزنه فعيال من الألس وهو الخديعة واختلاط العقل، أو أفعال من رجل أليس أي شجاع لا يفر. وقيل : سمي باليأس ضد الرجاء، ولامه للتعريف وهمزته همزة وصل... وسمي السل : داء إياس وداء إلياس، لأن إلياس مات منه. ذكره الحلي».

وفي المعجم الكبير (1 / 454) : «إلْياس : في التوراة Eliyyahu إلياهو، أو Eliyya إليّا : الله يهوه : من كبار الأنبياء اليهود... ورد ذكره مرتين في القرآن الكريم : في قوله تعالى : ﴿وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين﴾ (الأنعام 85) : ﴿وإنّ إلياس لَمِنَ المرسلين﴾ (الصافات 123).

(27) انظر : الكرملي، نشوء اللغة العربية ص 84.

(28) كذا في الصحاح بكسر الهمزة. وفي القاموس (مادة ي ء س). «واليأس ــ بهمزة الوصل ولام التعريف ــ ابن مضر بن نزار : أوّل من أصابه اليأس محركة : أي السل».

وإلياسين : لغة في إلْياس، وفي القرآن الكريم : ﴿سلامٌ على إلياسين﴾ (الصافات130)»

وفي قاموس الكتاب المقدس ص 144 : «إيليَّا ــ بكسر الهمزة والياء الأولى واللام وتشديد الياء الثانية مع الفتح ــ اسم عبري ومعناه « إلهي يهوه» والصيغة اليونانية لهذا الاسم هي إلياس وتستعمل أحيانا في العربية».

أقول : اختلف الأسلاف ممن ذكرنا في تأصيل هذا الاسم العلم، ولكن ابن دريد جعله عربياً محضاً مشتقاً وذكر له لغتين أولاهما من (ألس) في لغة من يهمزه. والثانية من (يئس) في لغة من لا يهمز. ورغم أن الجواليقي (المعرّب ص 61) يقرر أن «أسماء الأنبياء صلوات الله عليهم جميعاً أعجمية نحو : إبراهيم وإسماعيل وإسحق وإدريس وإسرائيل وأيوب إلاّ أربعة أسماء، وهي : آدم وصالح وشعيب ومحمد». إلاّ أنه لا يذكر لنا الأصل الذي أخذت منه هذه الأسماء، بل يتجاوز ذلك ليعرض علينا احتمالات اشتقاق بعضها من العربية فإسحق أعجمي وافق لفظا عربيا مشتقا من متعدي سحق (إسحاقا). وأيوب من (الأوب) لأنه لا مانع من مجيء الأعجمي على مثال لا يكون في العربي[29].

إن هذه المسألة قديمة في الدراسات اللغوية، ولقد انتهى إلى حل إشكالها أبو عبيد القاسم بن سلاّم، عالم الفقه والحديث واللغة (ت 224 هـ) فهو القائل فيما ينقله أبو حاتم الرازي عنه[30] : «الصواب عندي ــ والله أعلم ــ أن هذه الأحرف أصولها أعجمية إلاّ أنها سقطت إلى العرب، فعرَّبتها بألسنتها، وحولتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها، فصارت عربية. ثم نزل القرآن، وقد اختلطت هذه الألفاظ بكلام العرب على التعريب...

قال : ومن أسماء الأنبياء في كتاب الله : إبراهيم وإسماعيل وموسى وعيسى إنما هي بالعبرانية وبالسريانية : أبروهم واشموئيل وميشا وإيشوا فعربتها العرب... قال : فهذه الأسماء التي ذكرناها كلها عجمية الأصول عربية الألفاظ. من قال إنها عجمية فقد صدق، ومن قال إنها عربية فقد صدق، لما فُسِّرت من الأصل واللفظ».

وإنما أطلنا في إثبات هذا النص لنقرر أن المتقدمين مع إدراكهم أن الأعلام في أسماء الأنبياء ممن ذكرنا أعجمية إلاّ أنهم ما زالوا يغربون في تأصيلها ويتكلفون في تأويلها على نحو ما شهدنا عند الخفاجي وقد عدد لغاته : من الألس، أو من رجل أليس، أو اليأس.

ومما لا شك فيه أنهم أسرفوا في التكلف والتوهم لاجماع الغالبية بأعجمية إلياس ــ مثلاً ــ ولادراكنا في ضوء الدرس اللغوي الحديث أنها يونانية (إلياس). ولعل العرب آثروا اللفظ اليوناني على الأصل العبري (إلياهو أو إيليا) لما وجدوا من يُسر في نطقه على نحو قولهم : (يونس) لا (يونان).

ولقد عرض ابن كمال لمسألة وقوع المعرّب في الأعلام القرآنية في إبراهيم ونحوه، ولكنه لم يقطع فيها برأي سوى أنه أثبت نصوصا لبعض من عرض له من العلماء ثم راح يوهِّن آراءهم من مثل قوله : «وفي القاموس[31] : إبراهيم، وإبراهام، وإبراهوم، وإبراهِم ــ مثلثة الهاء أيضا. وإبْرَهُمُ ــ بفتح الهاء بلا ألف : اسم أعجمي» ــ ثم عقب على ذلك فقال ــ أي ابن كمال ــ : «وعلى هذا لا يكون إبراهيم معرّبا» فكيف لا يكون معربا وقد صرّح صاحب القاموس

(29) انظر : الجواليقي، المعرب ص 62 و63.

(30) الزينة في الكلمات الأعجمية ص 139 وما بعدها من الجزء الأول.

(31) الفيروز أبادي مادة (البرهمة).

في المساعد 1 : 109 : «إبراهيم الخليل : معناه أبو الجماعات. وهي عبرانية مأخوذة من (اب) و(رهيم) جمع وهو كالعربية، ومعناها الجماعة الكثيرة».

أنه أعجمي وقد ذكر لغاته ولكنه لم يبيّن أصله.

ثم عرض لآراء الفاضل المحقق سعد الدين التفتازاني (ت 791 هـ) وهو من القائلين بوقوع المعرّب في القرآن الكريم وقد استدل على ذلك بإجماع أهل العربية على أن منع الصرف في (إبراهيم) ونحوه للعجمة والعَلمية (ورقة 114 أ) ولكن ابن كمال يختلف معه في شروط التعريب من حيث التغيير أو عدمه في الأعلام خاصّة، وفي أسماء الأجناس بشكل عام.

وذكر موقف الزمخشري في هذه المسألة من خلال قول الأخير[32] : «ويوسف اسم عبراني، وقيل عربي وليس بصحيح لأنه لو كان عربيا لانصرف لخلوه عن سبب آخر سوى التعريف. فإن قلت : فما تقول فيمن قرأ يوسِف — بكسر السين — أو يوسَف — بفتحها —، هو يجوز على قراءته أن يقال : هو عربي لأنه على وزن المضارع والمبني للفاعل، أو المفعول من (اسف)، وإنما انصرف للتعريف ووزن الفعل؟ قلت لا، لأن القراءة المشهورة قامت بالشهادة على أن الكلمة أعجمية فلا تكون عربية تارة وأعجمية أخرى، ونحو يوسف — يونس، رويت فيه هذه اللغات الثلاث».

وهنا أيضا لم يقطع ابن كمال برأي في صحة التأصيل الذي ذهب إليه الزمخشري رغم عادته في الأمثلة التي تناولت القضايا الأخرى في باب التأصيل اللغوي أن يدلي برأيه أو لا يخجل من رمي الآخرين الوهم أو الغفلة أو الخطإ[33]... ولكننا نعثر على قوله بعد ذلك (ورقة 114 ب) : «ومن اللطائف الاتفاقية أن الأسف في اللغة : الحزن، والأسيف العبد، وقد اتفق اجتماعهما في يوسف عليه السلام» وشبيهه بهذا التعقيب قوله بعد عرض وجهة نظر صاحب الكشاف حول منع صرف (طالوت) للعجمة والعلمية وتوهين رأي من قال أنه مشتق من «الطُول لما وصف به من البسطة في الجسم. إلاّ أن امتناع صرفه يدفع أن يكون منه إلاّ أن يقال هو اسم عبراني وافق عربيا» (ورقة 115 أ).

ويمسك ابن كمال بطرف عبارة الزمخشري (إلاّ أن يقال هو اسم عبراني وافق عربيا) فيقول في نفس الموضع : «ولك أن تقول فعلى هذا لا وجه لقطعه بعدم صحة اشتقاق إدريس[34] من الدراسة، وإبليس[35] من الابلاس، ويعقوب[36] من العقب، وإسرائيل[37] من إسرال».

ولا نملك بعد العرض لهذه المسألة إلاّ أن نقرّر أنها مسألة اتّسعت لاختلاف الآراء، ورغم أن الجميع متفق على وقوع التعريب في أسماء الاعلام في القرآن الكريم إلاّ أنهم اختلفوا عندما ذهبوا يحققون أصول هذه اللغات في مواطنها...

والذي يبدو لي أن السبب الذي قادهم إلى التماس علّة الاشتقاق في ألوان هذه الطائفة من الأعلام ممن ذكرنا إنما تنتمي إلى العائلة اللغوية الواحدة Family of Language، ألا وهي الساميّة، هذا من ناحية. ومن الناحية الأخرى فإنهم عندما عجزوا عن ردّ هذه الأعلام إلى أصولها انكفأوا على اللغة العربية فنظروا إلى اللفظ الأعجمي من خلال اللفظ العربي ومرادفاته، وطاقاته الاشتقاقية فتكشّف لهم ترف

(32) الزمخشري، الكشاف2 / 301.
(33) انظر في الرسالة مواطن عرضه للشطرنج والزندين والباذق ونحوها.
(34) قال الزبيدي في التاج (مادة درس) : «ادريس النبي — ﷺ — ليس مشتقاً من الدراسة في كتاب الله عز وجل كما توهمه كثيرون ونقلوه، لأنه أعجمي واسمه خنُوخ وقيل خنوخ. وقال أبو زكرياء (يعني الفراء)، هي عبرانية، وقال غيره سريانية أو اخنوخ كما في كتاب النسب».
(35) الكرملي، المساعد 1 / 121 «ابليس من اليونانية Epiaes التي معناها الشيطان».
(36) قاموس الكتاب المقدس ص 1073 : يعقوب اسم عبري معناه يعقب.
(37) نفس المصدر ص69 : إسرائيل اسم عبري معناه يجاهد مع الله.

العربية وغناها. ولكن الوضع بالنسبة إلى ألفاظ الأجناس أكثر مفارقة وأبعد إغراباً.

يقول المرحوم صبحي الصالح : ورغم أن الاشتقاق وسيلة رائعة للتمييز بين الأصيل والدخيل... «ولكن علماءنا عطلوا هذه الوسيلة وأبطلوها بجنوحهم مثلاً إلى عربية (الفردوس) لنزول القرآن بها، حتى اشتقوها من (الفردسة) بمعنى السعة، وكان عليهم أن يعترفوا بأن الفردسة مشتقة من اللفظ الأجنبي (الفردوس). وقل مثل ذلك في الاستبرق والسندس وسائر ما ورد في القرآن من الألفاظ الأعجمية المعرّبة التي أذهب القرآن عجمتها باشتماله عليها». (دراسات في فقه اللغة ص 318).

والاشتقاق في العربية شديد المرونة، وتصرفوا بالألفاظ الدخيلة، واشتقوا منها أفعالاً فقالوا قديماً : دوَّن. يدوِّن من (الديوان). وقالوا : بَهْرَجَ من (البهرج)، وَنَوْرَزَ. نيززة. منورز. منبرز من (النوروز). ودنَّر وجهه من (الدنبار). ودبَّج من (الديباج). وقناطير مقنطرة وغيرها كثير.

وفي مجموعة القرارات العلمية والفنية التي أقرّها مجمع اللغة العربية بالقاهرة والمجامع المماثلة صور قياسية تهدف إلى التوسع في باب الاشتقاق من الجامد عند الضرورة كقولنا هدرج ومهدرج للدلالة على صفات المواد المعالجة ب (الهيدروجين) (قرار رقم 40). كما أجاز الاشتقاق من أسماء الأعيان : ـــ الأماكن. القبائل. أعضاء الجسم. الحيوان. أسماء مختلفة ـــ من ذلك : مكهرب. ممغنط. مبْطُون من (البطن). ممعود من (المعدة). وبقعة مُزَيْتنة (كثيرة الزيتون) (قرار رقم26). والتوسع في استعمال المصدر الصناعي، وذلك لنقل الاسم من الذات إلى الصفات، أي للدلالة على الصفات المجردة مثل : حمضية. حساسية. تربوية (قرار رقم 3). وانظر قراراته : في صياغة اسم الآلة، والحِرَف والاحتراف، والمرض، والصوت، والاضطراب، والاشتراك.. وغيرها.

2. 1. تداخل دلالة الأصيل والمعرّب :

قال الجواليقي[38] : «الزَّرَجُون : ـــ بفتح الزاي والراء وضم الجيم ـــ الخمر. فارسي معرّب وأصله (زرّكون)، أي لون الذهب... وقال النضر بن شميل : الزرجون : شجر العنب، كل شجرة زرجونة... وقال الليث : الزَّرجون بلغة أهل الطائف وأهل الغور : قُضبان الكرم».

وذكر الفيروز أبادي المعاني السابقة ولكنه اعتبر اللفظ من أصل عربي وأورده في مادتي (زرج) و(زرجن) فقال : «زرجه بالرمح زجّه. والزرج في بعض اللغات : حلبة الخيل وأصواتها... والزَّرَجون : المطرُ الصافي المستنقع في الصخرة. والزرجنة : التخارج والخبُّ والخديعة».

وذكره صاحبا (لسان العرب وتاج العروس) في مادة، (زرجن)، فقال ابن منظور : «الزَّرَجون ـــ بتحريك الزاي والراء وسكون الراء ـــ الماء الصافي يستنقع في الجبل، عربي صحيح. والزَّرَجُون ـــ بالتحريك وضم الجيم ـــ الكرم...».

أقول : اللفظ فارسيّ معرب، ومعناه الأصلي ذهبي اللون مكونة من زر = ذهب + گون (جون) = اللون. وقد تضافرت الشواهد على عجمته[39]. ولكن اللفظ المعرّب اختلط بأصول أخرى فتعددت دلالاته، وولّد غموضاً في تحديد معناه بشكل عام. فالجَوْن من ألفاظ الأضداد يعني

(38) المعرّب : ص 203.

(39) انظر أيضاً الصحاح، وشفاء الغليل للخفاجي ص112، والخصائص لابن جني 1 / 359.

الأبيض والأسود[40]. ولكن تداخلت أكثر من دلالة في هذا اللفظ المعرب فتولد مادة جديدة هي (زرج)، وكان مولدها سبباً في إحداث معانٍ جديدة.

ولو ذهبنا نستقرأ كتب التراث لوقعنا على أمثلة شبيه بهذا اللون وقد ألمعنا إلى أمثلة منه في نحو اشتقاق إسحاق من (أسحق)، وإبليس من (الابلاس)... وغيرهما.

ومن ذلك قولهم في (النُّمِّيّ)[41] ــ بضم النون وكسرها ــ قال الجواليقي (المعرب ص 378) : «النُّمِي : بالرومية : فلــوس رصاص كانت تتخذ أيام مُلك بني المنذر، يتعاملون بها».

وقال الفيروز أبادي (القاموس مادة ن م م) : «والنُّمِّي ــ كقُمِّي ــ : الخيانة. والعيب. وصنجة الميزان. والعداوة. والطبيعة. والفلوس، أوالدراهم التي فيها رصاص أو نحاس، الواحدة بهاء، ج نمامي. وجوهر الانسان وأصله وما بها نُمِّي : أحدٌ. والنُّمِّيَّة بهاء : الفاختة».

اللفظ من الرومية كما ذكر الجواليقي وهو ناقل عن ابن دريد في الجمهرة (3 / 502) ولكن الــزمخشري يقــول في الفائــق (4 / 28) : «النُّمِّية : الفلس وجمعها نمامي، كذُرِّية وذراري. ويقال النُّمِّي ؛ سمي بذلك لأنه من جوهر الأرض، وهو الصُّفر أو النحاس أو الرصاص. يقال لجوهر الرجل نُمِّية... لأنه ينم عليه في أفعاله ومخايله».

فرغم أن اللفظة رومية إلاّ أنها التقت N المادة العربية (ن م م) فلم تعد دلالتها مقتصرة على القطعة من العملة مطلقاً بل تطورت للتَّسع لهذه المعاني التي ذكرها كلٌ من الزمخشري والفيروز أبادي. وكل هذا حاصر الأصل اللغوي للمعرب أو طمس ظلال دلالته الأولى ومن هنا كان التأصيل في مثل هذه الألفاظ عسيراً.

صحيح أنَّ انقطاع الصلة المعنوية بين اللفظ المعرّب وبين إحدى مواد الألفاظ العربية يغلّب على الظنّ عجمة اللفظ على نحو ما بين (الحرباء) و(الحرب)... ومن المفروض أن يكون فقدان الصلة اللفظية بين المعرّب والجذور العربية دليلا على عجمية اللفظ.

ولكن ربما اشتق العرب من اللفظ الأعجمي مادة جديدة ثم تقادم الزمن على استعمالها حتى عادت عربية فصيحة من مثل ما حدث للفظة (الديوان) فقد قلّب العرب استخدامها فاشتقوا منها الفعل (دوَّن) ــ بالتشديد ــ : كتب. ديوان الرسائل وديوان الموظفين. الدواوين العلمية. لغة الدواوين. الديواني. تدوين. المدونة والمدونات (انظر تكملة المعاجم العربية ــ الترجمة العربية ــ 4 / 452) وقابل بالمعرّب للجواليقي ص 202 حيث نقل عن الأصمعي : «أصله فارسي... أي الشياطين، أي : كتّاب يشبهون الشياطين في نفاذهم. و(ديو) هو الشيطان». ونقل الشهاب الخفاجي في الشفاء ص 119 عن المرزوقي في شرح الفصيح، قال : «هو عربي من (دَونتُ) الكلمة : إذا ضبطتها وقيدتها؛ لأنه موضع تضبط فيه أحوال الناس وتدون. هذا هو الصواب، وليس معرباً». أقول : ونستحدث اليوم لفظة (تلفاز) تعريباً للتلفزيون ونشتق منها (تلفزَ) ونقيس منها تلفزة. متلفز. تلفازات. وما ندري ؟ فلعل (التلفون ــ تلفن) تدخل متن اللغة ويأتي نظير المرزوقي ليستنكر التعريب فيهما !!

والقرائن التاريخية أكثر فائدة في هذا الباب. فإذا ورد لفظان متقاربان في الصوت والجرس،

(40) انظر : ابن فارس، مقاييس اللغة1 / 496، والألفاظ الفارسية المعربة لادى شير ص 7، ولقد رفض ابن فارس عجمة اللفظ ولكنه استدرك في نفس الموضع فقال : الجَوْنة : الشمس، ولعلها تكون معربة.

(41) انظر مزيد من الأمثلة : معجم المساعد لأنستاس الكرملي : الأم بمعنى جلدة الرأس، الأنيسة، الاستمارة.

والمعنى في لغتين... وكان بين أهل هاتين اللغتين صلات متبادلة من تجارة، أو صناعة، أو سياسة. جاز لنا الظنّ أن إحداهما اقتبست من الأخرى... فإذا كان ذلك اللفظ من أسماء المحاصيل، أو المصنوعات، أو الأدوات، فيرجّح عندئذ إلحاقه بالسابقة إلى ذلك ك(الصندل والمسك) . فإنهما موجودان في عدة لغات. ولكننا نعرف أن موطنهما الهند والصين، وأن التجار القدماء حملوهما إلى الأمم القديمة مرورا ببلاد العرب، وعندها يترجّح لدينا أنهما هنديا الأصل رغم أن العرب عدوا المسك فارسيا(انظر : الجواليقي، المعرب ص 373)، ولكن الفرس اعتبروه عربياً (التونجي، المعجم الذهبي ص 545). والأوربيون اعتبروه عربيا كذلك (زيغرد هونكه، شمس العرب... ص 556).

ويقال مثل ذلك في كثير من الألفاظ وعلى سبيل المثال انظر قائمة زيغرد هونكه في كتابها السالف الذكر(ص ص 552 ــ 559) حيث ذكرت : زمرد. بادزهر. بورق. جبس. ديوان. فندق. كافور. قيثار. زنجبيل، ياسمين...وغيرها.

إن مسلك التعريب تحدده ظروف الاتصال الحضاري بين الأمم ويدخل فيه عوامل التاريخ والسياسة والتجارة وانتقال العادات والتقاليد وأكثر ما يكون في الآلات وأصناف الطعام والشراب واللباس. جاء في (المسالك والممالك) نقلا عن (معجم الألفاظ الهندية المعربة) في وصف لغة التجار القدامى (ص 120) : «كانوا يتكلمون بالعربية والفارسية والرومانية والافرنجية والأندلسية والصقلبية. وإنهم يسافرون من المشرق إلى المغرب، ومن المغرب إلى المشرق براً وبحراً، يجلبون من المغرب : الخدم والجواري والغلمان والديباج وجلود الخز والفراء والسمور والسيوف. ويركبون من فرنجة في البحر الغربي فيخرجون بالفرما Pelusium ويحملون تجارتهم على الظهر إلى القلزم... ثم يركبون البحر الشرقي من القلزم إلى الجار وجدّة، ثم يمضون إلى السند والهند والصين فيحملون المسك والعود والكافور والدارصيني وغير ذلك مما يحمل من تلك النواحي حتى يرجعوا إلى القلزم ثم يحملونه إلى الفرما، ثم يركبون البحر الغربي فربما عدلوا بتجارتهم إلى القسطنطينية فباعوها من الروم... كل ذلك متصل بعضه ببعض»(42).

وشبيه بلفظ (المسك) بعض ألفاظ الحضارة التي روّجها عالميا الانجليز كالكاكاو Cacao الافريقية. وبيجامة Pajamaفهي لفظة سندية مأخوذة عن الفارسية مركبة من (باي) بمعنى الرجل و(جامه) بمعنى اللباس فيكون معناها : لباس الرجل. وهي في السندية تطلق على البنطلون الواسع العريض تلبسه نسوة الهند، وقد أخذها الانجليز وأطلقوها على المنامة، ومنهم انتقلت إلى سائر اللغات الأوروبية (انظر : قنيبي، معجم المؤنثات السماعية ص 47).

يقول الباحث محمد يوسف في معجم الألفاظ الهندية المعرّبة (مجلة اللسان العربي ص 109، المجلد العاشر، الجزء الأول، 1973) :

«والفالج : كلمة سندية محلية، والجيم فيها علامة العجمة لا غير، مع أنّ بعضهم لم يعد يهمه التعليل بأنّ الفالج (يسمى بذلك لأن سنامه نصفان) ــ المخصص 7 / 68 ــ !!.

وكذلك البختية (دخيل في العربية. أعجمي معرّب) ــ اللسان ومثله في المخصص 7 / 135 عن صاحب العين ــ. إذن فما هو أصل الكلمة ؟ لم ينصوا عليه بل ربما لم يهتدوا إليه حتى **أن بعضهم اجترأ على القول** بأن الكلمة عربية (انظر اللسان)...

(42) انظر كامل النص في المسالك والممالك ص ص153 ــ 154.

على كل حال مامن شك في أن (البختية) لم تكن غير (الابل من Bactria). ومن الجدير بالملاحظة أيضا في هذا الصدد أن أصحاب المعاجم قد فرقوا، جريا على عاداتهم، بين مادتي (بخت) و(بختر) إلا أن مشية الجمال البختية طوال الأعناق ذات السنامين هي أشبه شيء بمشية الخيلاء وقد جرت العرب على هذا المنوال في قولها (تفختت) من مشي الفاختة (المخصص 3 / 109) ومن الثابت أيضا أنها كانت تصف النساء (بالبخت)، قال الشاعر :

وفيهن من بخت النساء سبحلة
تكاد على غر السحاب تروق»

لقد تباعدت المسافة بين الأصل الدلالي الهندي والاستعمال العربي لبختر وفاخته وهي هندية من Vasita وتفختت والبختي ولعله لهذا اجترأ ابن منظور بتأكيد عروبتها. ويقدم لنا الباحث السبب في موضع آخر من دراسته (ص 124 من المصدر السابق)، ففي معرض حديثه عن قصة السيوف الردينية والرماح الخطية والأرز Rice نفاجأ بأنها ألفاظ هندية !! ثم ينتقل إلى الحديث عن القنا فيقول :

«كان العرب شديدي الاهتمام بالقنا والانتقاء لها حتى أن الشعر العربي يزخر بأوصافها ونعوتها إلاّ أن كثرة استعمال العرب للأسماء المختلفة للقناة وما يتبعها وجريها على ألسنتهم مجرى الكلمات العربية في الاشتقاق وما إلى ذلك جعلا أصل تلك الأسماء نسيا منسيا»... والقنا في اللغة الهندية هو قصب السكر، والدليل على ذلك أن جميع منتجات قصب السكر اشتهرت في العالم بأسمائها الهندية من مثل : (قند) العربية = Candy الانجليزية. و(سكّر) العربية = Sugar الانجليزية.

إذن هكذا تتبدل أصول الألفاظ المعرّبة في كلام العرب، ولا يعود لمعرفة أصلها شأن كبير، ومع ذلك فإننا نقول إننا لن نقدم فائدة من التأصيل العلمي القائم على توثيق تاريخ الألفاظ المعربّة دون أن يمنع تجدد اللغة ومرونتها. فالعرب لم تكتف في التعريب بنقل الكلمات الأعجمية إلى لغتها بل اشتقت من الأعجمي النكرة كما تشتق من أصول كلامها ولقد وضع مجمع اللغة العربية بالقاهرة مقولة ابن جني في هذا الباب موضع التنفيذ حين توسّعت بالقياس وأطلقته من حدود الزمان والمكان ـــ يقول ابن جني : ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب. فإذا عربت لفظة أعجمية أجريت عليها أحكام الاعراب واعتبرت من كلام العرب، وأجيز الاشتقاق منها : كما عرّب العرب لفظة الدرهم واشتقوا منه دَرْهَمتْ الخُبَّازى، أي صارت كالدرهم. وقالوا رجل مُدَرْهم، أي كثرت دراهمه[43].

التحفظ في إطلاق الأحكام عند التأصيل :

كثيرا ما تردد عبارات التضعيف في كتب المتقدمين عند تأصيل بعض الألفاظ المعرّبة، وذلك من مثل : ما أراه عربيا، أو لا أدري أهي عربية أم أعجمية عُرِّبت، أو أحسب أن أصله كذا، أو من توافق اللغات في لفظ واحد بالفارسية أو بغيرها.

ففي الفائق (مادة : سطم 2 / 178.) : «من قضيت له شيئا من حق أخيه فلا يأخذنه فإنما أقطع له إسطاماً من النار»... والاسطام والسطام[44] : «المِسْعار، وهو الحديدة المفطوحة الطرف التي تحرّك بها النار». قال الأزهري في شرح الاسطام أو السّطام (تهذيب اللغة 2 / 350) : «ولا أدري أعربية محضة

---

(43) انظر : ابن جني، الخصائص 1 / 357، صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة ص178.

(44) معجم متانفس ص 681، حد السيف (عربية)، غرائب اللغة العربية ص259. هي يونانية Stoma.

أو معربة».

ومن هذا القبيل : في التاج (مادة أشنة) : «قال الليث : هو شيء يلتف على شجر البلوط كأنه من عِرق (أي جذر) وهو عَطِر أبيض. قال الأزهري : ما أراه عربيا».

وفي غرائب اللغة العربية (ص 216) : إشنان وأُشنان وأُشنة : اسم نبات من الفارسية.

ونقرأ في المعرّب للجواليقي ص 129 : «البَرْخ : الكثير الرخيص. قال أبو بكر — يعني ابن دريد — : هو لغة يمانية، وأحسب أصلها عبرانيا أو سريانيا. وهو من البركة والنماء» والرواية في التهذيب عن الليث بوضع أهل عُمان موضع لغة يمانية. وفي اللسان «عمانية»، ولكنه يذكر أيضا أنها تأتي بمعنى النصيب وأصلها فارسية (التهذيب 2 / 333).

هذا نص يصلح نموذجاً لطريقة عرض الألفاظ المعرّبة في مصنفات المعرّب والدخيل والعاجم، فتكاد تتفق الروايات لدرجة التطابق(45).

ثم إنهم يعمدون إلى إسناد التأصيل إلى أحد الثقات على نحو ما نجد في كتب الحديث النبوي الشريف(46).

ففي رسالة (المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب للسيوطي، تحقيق عبد الله الجيودي) نقرأ : قال ابن أبي حاتم : حدثني محمد بن سعد، حدثني عمر بن سعد، حدثني عمر عن أبيه عن جدّه عن جدّه عن ابن عباس قال : **الأوّاه** : المؤمن بالحبشية. وقال الواسطي : الأواه : الدعاء بالعربية (ص 201)... وقال الفريابي حدثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد، قال : **سجيل** بالفارسية أوّلها حجارة، وآخرها طين، وقال ابن أبي شيبة : حدثنا وكيع عن السدّي عن عكرمة عن ابن عباس في قوله : (سجيل)، قال : هي بالفارسية : سَنْك، وكل حجر وطين (ص 209)... وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي (ثنا) سهل بن عثمان (ثنا) يحيى بن يمان عن المنهال (ثنا) ابن خليفة عن سلمة بن تمام الشقري قال : (مُتَّكأ) بكلام الحبش، يسمّون الترنج مُتَكاً، وقال الواسطي هو الأترج بلغة القبط (ص 222).

وأخرج ابن المنذر من طريق عبد الله بن عمرو عن زيد بن أبي أنيسة عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله بن الحارث أن ابن عباس سأل كَعبا عن **الفِرْدوس** قال : هي جنّات الأعناب بالسُّريانية (ص 217).

وتسير الرسالة على هذا النمط في سرد المعربات. وانظر للمزيد من الطرافة : تخت، سجل، طه، مشكاة، ناشئة، هيت. وانظر أمثلة أخرى في المعرب للجواليقي ص 202، وشفاء الغليل ص 119.

وإنما يسلكون هذا الطريق تحفظاً في الادلاء بما لم يثبت عندهم نقلاً أو سماعاً إذ أن التأصيل اللغوي يستلزم معرفة باللغات الأخرى، أو استناداً إلى وثائق تاريخية... ونحوها. فلقد ردّ الدرس اللغوي الحديث الكثير من هذه الأحكام. ولكن حسب المتقدمين أنهم حكموا بحسّهم على أعجمية اللفظة، وأنهم تركوا ذلك للأجيال بعدهم للتأصيل عندما تتوفر لهم الوسائل.

---

(45) انظر : الجمهرة لابن دريد 1 / 231، تهذيب اللغة للأزهري 7 / 362، والصحاح والقاموس واللسان مادة(ب ر خ)، وشفاء الغليل ص 64. ولقد رجّح المعجم الكبير (2 / 119 و 2 / 289) أنها لغة يمانية. وغرائب اللغة العربية (ص 174) : آرامية. والمساعد (2 / 187) : آرامية.

(46) انظر أمثلة أخرى من طائفة ألفاظ المجموعة السامية في كتاب عبد الصبور شاهين المسمى : القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث ص ص313، 319، 322، 328.

إن عثرات التأصيل اللغوي في الكلمات القديمة مردّها إلى صعوبة معرفة أيّ اللغات أقدم من الأخرى، وتاريخ اللغات ليست سلسلة واحدة متتابعة الحلقات يتسلم فيها اللاحق عن السابق، بل العكس هي حلقات متداخلة في العصر الواحد تأخذ وتعطي وتتأثر وتؤثر. ففي مجال اللغات السامية خاصة كثيرا ما تتداخل الأصول وتتشابه الفروع ويصبح الحكم عندها عسيراً لطبيعة خصائص لغات الأسرة الواحدة.

يقول حسن ظاظا(كلام العرب ص ص 65 ــ 66) :

«يكاد يكون مستحيلا أن نجزم عند بحثنا في كثير من الألفاظ المشتركة بين العربية وغيرها من لغات العائلة السامية، بأن هذه اللفظة أو تلك (مأخوذة) من العبرية أو الآرامية أو البابلية أو الحبشية. أو غيرها، إذ قد يكون العكس هو الصحيح، نظراً لقدم لغة العرب، ولعدم عثورنا على نصّ مكتوب أو مروي عن اللغات السامية الأم».

ثم إن الامتزاج الحضاري بين العرب والفرس وتبادل اللغتين الكثير من الألفاظ ثم ذبول اللغة الفارسية القديمة في نفوس المستعربين منهم أدى إلى صعوبة اهتدائهم إلى أصول لغاتهم. وقد مرّ علينا شواهد من تخطئة أعلام كالجوهري والزمخشري والفيروز أبادي:.. وغيرهم.

ولعل هذا ما حدث في لفظ (البرخ). وقد تنازعته سبع لغات هي : العربية الفصحى واليمانية والعمانية والعبرانية والسريانية والآرامية ثم الفارسية.

يقول عبد الصبور شاهين(47) : «إن أغلب الألفاظ المشتركة بين العربية وأخواتها هي ألفاظ سامية، للعربية فيها ما لأخواتها : فهي ألفاظ سريانية. وهي عبرية، وهي حبشية، وهي عربية أيضاً.. ويصدق هذا الرأي خاصة بالنسبة إلى الألفاظ التي اتخذت في العربية صورة لغوية خاصّة، أي تلك التي خضعت للقوانين الصوتية، والصرفية العربية، بحيث قد امتاز وجودها العربي عن وجودها في اللغات السامية الأخرى».

وإلى مثل هذا أشار الدكتور عبد الوهاب عزام في تقديمه لكتاب (المعرب) حين ذكر أن المتقدمين لم يميزوا القرابة بين العربية وأخواتها الساميات. فاعتبروا اللفظ السرياني دخيلا ؛ وكان الأولى اعتبار اللفظين من أصل سامي واحد، ثم أشار إلى علاقة العربية بالفارسية فقال : «ان اللغات السامية وجاراتها تبادلت ألفاظا في عصور متطاولة قبل الاسلام، فدخل في الفارسية ــ مثلا ــ ألفاظ سامية، فربَّ لفظ فارسي يظنّ أصلا للفظ عربي، وهو في الحقيقة لفظ سامي تسرب إلى الفارسية في العصور القديمة. وقد بعد بالباحثين عن الصواب ظنهم أن العربية لم تهب اللغات الأخرى من ألفاظها إلاّ في العصور الاسلامية»(48).

تأصيل المصطلحات :

الدافع لمعالجة هذه القضية هو أنَّ ابن كمال في رسالته الموسومة ب (تحقيق تعريب الكلمة الأعجمية) قد عاب على المتقدمين ممن عكفوا على دراسة المعربات أنهم لم يحسنوا تحقيق أصول هذه المعربات لجهلهم اللغات الأخرى، ولأن اهتمامهم انصب حول مسألتي التغيير والالحاق ، ولقد قادهم هذا المسلك إلى محاولة تلمس أصل عربيّ للألفاظ المعرّبة مما أوقعهم في الوهم. وتكاد معظم الأمثلة التي

(47) القراءات القرآنية ص333.
(48) تقديم المعرب للجواليقي ص 4.

أوردها تدور حول هذا المحور فالأقدمون لم ينكروا وجود المعرّب في اللغة، وقد أقرّوا بأعجميته ابتداء، ولكنهم سرعان ما كانوا يبتعدون عن هذه البداية عندما يبدءون بالتحليل اللغوي، وهم يلحون في تعريب هذا الدخيل فهم ما انفكوا يسرفون في محاولة ردّ الألفاظ المشتركة في حروفها أو المتشابه في أصواتها إلى معنى أصلي عام اشتقت منه.

ففي النص الذي نقلناه من مقدمة شفاء الغليل نرر أنّ النون والراء لا يجتمعان في كلمة من كلام العرب، وجميع كتب المعرّبات تنقل هذه المقولة ويضربون مثلاً من نحو : نرجس. نورج نيرج. نرجه. ولكن عند التحليل نشهد خروجهم عما قرروه. نقل ابن منظور في نرجس (مادة ر ج س) : «والنَّرجِس من الرياحين معرب، والنون زائدة لأنه ليس في كلامهم (فَعْلِل) وفي الكلام (نَفْعِل) قاله أبو علي. فإن سميت رجلا بنرجس لم تصرفه لأنه (نفعل) كنجلس ونحرس، وليس برباعي لأنه ليس في الكلام مثل (جعفر)، فإن سميته بِنِرْجِس صرفته لأنه على وزن (فِعْلِل) فهو رباعي كهجرس، قال الجوهري : ولو كان في الأسماء شيء على مثال (فَعْلِل) لصرفناه، كما صرفنا نَهْشَلاً، لأن في الأسماء (فَعْلَلاً) مثل جعفر».

هكذا افترضوا وجهاً من وجوه البناء القياسي، وحاولوا إلحاقه بأبنية العرب، ونسوا — في غمرة انكفائهم — عما تعارفوا عليه أنه لفظ دخيل حيث لم يجيء في كلام العرب اسم فيه نون بعدها راء (المعرب ص 379). كما أنه من المقرر لديهم أن شذوذ اللفظ في بنائه دليل على عجمته !!

ولقد بيّنا موقفنا فيما تقدم من هذه القضايا ولكن بقيت مسألة أرى أنها تلحّ علينا، فأقول : صحيح أن كثيرا من الأمثلة التي عرض لها ابن كمال بالتحليل قد توهم دارسو المعربات أصالتها. ولكن من جهة أخرى فإنّ هذه الألفاظ قد خرجت عن أصل معناها اللغوي لتدلّ على معان اصطلاحية. والمعروف في علم المصطلح الحديث قبول هذا المسلك، يقول عبد الكريم خليفة رئيس مجمع اللغة العربية الأردني من مقال له بعنوان (وسائل تطوير اللغة العربية العلمية، منشورات اللجنة الأردنية للتعريب والترجمة، عمان 1974، ص 13) : «فالمصطلح لا يعني تسمية جامعة مانعة للمسمى كما يظن بعض الناس، بل يرمز إليه رمزاً للصلة بين الرمز والمرموز إليه. وهذه الصلة تختلف قوة وضعفاً على حسب الأحرف المؤدية للمعنى...»، ويقول في نفس الموضع :.«فالمصطلح يوضع أحياناً لأدنى ملابسة بينه وبين مسماه، وهو مقصّر دائماً عن الاحاطة بمعنى الشيء المسمى اصطلاحا، ومن أجل ذلك كثيرا ما نقول : هذه الكلمة لغةً معناها كذا، واصطلاحا كذا...».

ونحن نسوق مثالاً مما جاء في رسالة ابن كمال (ورقة 104 أ) : «الخُرَّم — بضم الخاء وفتح الراء المشددة — العيش الواسع. ذكره ابن السكيت. وقال الخطيب التبريزي في (الايضاح، شرح سقط الزند) : ويجوز أن تكون الخرمية نسبة إليه، لأنهم يتسعون في الأشياء — وأصل (خُرَّم) فارسي معرّب — وقال صدر الأفاضل في (ضرام السقط — شرح سقط الزند) : الخُرَّم : نبت به يشبه الشيب — أراد سراج القُطْرب، وهذا المعنى مخصوص بلغة العرب».

وشرح النص : أن الخُرَّم[49] : العيش الواسع، فارسي معرّب . توسعوا في دلالته، جاء في (المعرب للجواليقي ص 179) : «وأما

(49) المعجم الفارسي لستانفس ص 456 : خُرّم : «ضاحك. مسرور. اليوم العاشر من كل شهر شمسي». وفي الألفاظ الفارسية المعربة لأدّى شير ص54 : «الخُرَّم : فارسي محض، وهو الناعم من العيش ويرادفه من اليونانية معنى موضوع الفرح».

قولهم : «عيش خُرَّم» فروي لنا عن ابن السكيت عن أبي عبيدة أنه الناعم. قال : وهي عربية». والخطيب التبريزي شارح تهذيب الألفاظ لابن السكيت والايضاح في شرح سقط الزند للمعري يقول : «ويجوز أن تكون الخرمية(50) نسبة إليه، لأنهم يتسعون في الأشياء». ولكن شارحاً آخر لسقط الزند وهو صدر الأفاضل الخوارزمي (ت 617 هـ) يرى أن الخرم نبات يشبه به الشيب. ثم قال ابن كمال : «أراد به سراج القُطْرُب(*)، وهذا مخصوص بلغة العرب».

ومعاني (خُرَّم) مضطرب في المصادر العربية ففي ترجمة معجم دوزي ـــ تكملة المعاجم ـــ نقرأ بتصرف ـــ (4 / 74) : خُرَّم : لفظ فارسي. ولم يبيِّن معناه إلاّ أنه قال «إذا صدقنا الادريسي فهو نبات» وعلق المترجم ـــ النعيمي ـــ في الحواشي : وقد استعمل بهذا المعنى في كتب مفردات الأدوية وهو سراج القطرب(*) : نبات ينبت في البساتين زهره بنفسجي ورائحته حسنة، وهو كثير بأرض الفرس، وهم يعظمونه لأن شمه يحدث سروراً ويفرح النفس (انظر معجم أسماء النبات ـــ أحمد عيسى ص 112)، وهو المنثور. وإذا أطلق سراج القُطْرُب يراد به هذا النبات ويقابله في الانجليزية Rose Campion وذكره ابن سينا، قال : دواء فارسي يقال له المريحة والخُرَّم.

وكتاب الصيدنة للبيروني لم يذكر الخُرم، ولكن ذكر أن سراج القطرب : نبات له زهر جميل ورائحته حسنة. يقول ص 229 : «يستعمل في العلاج. يفرَّغ به البطن، ويخدّر العقارب... يسمى بالشام : سراج الليل، وهو يسرج بالليل لاسيما ببيت المقدس أيام الربيع» وقد ذكرت بعض المعاجم أن القطرب : دويبة تضيء في الليل كأنها شعلة.

وكأني بابن كمال وقد استحضر هذه المعاني في تطور دلالة اللفظ المعرّب فقال مذيلاً : «ومن هنا ظهر لنا أن الكلمة الأعجمية بعد تعريبها يجوز أن توضع لمعنى آخر غير معناها الأصلي، وذلك لا ينافي كونها معرّبة باعتبار المعنى الأول ـــ الأصلي».

وهذا استنتاج صحيح فمن واقع الاستقراء المتتبع للألفاظ المعرّبة نلحظ أن العرب قد توسعوا في دلالة اللفظ المعرّب إما تقييداً أو تعميماً كما أوضحنا في أمثلة سابقة على نحو ما حدث في : الباذق. البريد. السرادق. دهقان. كنيسة. صنم. الدست. البستان... وغيرها. فهذه الألفاظ ذات دلالات محددة في أصل الوضع اللغوي ولكنها اكتسبت معاني جديدة وسلكت في باب المصطلحات. والتوسع الدلالي للألفاظ يحدث في إطار اللغة الواحدة فألفاظ من نحو الصلاة والحج والصوم معانيها في أصل الوضع اللغوي الدعاء والقَصْد ومطلق الامساك(**). ولكن القرآن أعطاها معاني جديدة لتدلّ على عبادات مخصوصة... وما حدث للألفاظ المعرّبة ليس بعيدا عن هذا المسلك. وابن كمال معترف بهذا فلقد سبق أن نقلنا عنه أنّ الكلمة الأعجمية بعد تعريبها يجوز أن توضع لمعنىً آخر غير معناها الأصلي كما أوضحنا سابقاً.

وحبذا لو طبق ابن كمال مقولته هذه عندما راح يحلل الأمثلة التي ساقها إذن لالتمس عذرا في

(50) الخُرَّمية : أصحاب التناسخ والاباحة من أتباع بابك الخُرَّمي.

(*) في المعجم الموحّد ـــ معجم النبات ـــ ، مكتب تنسيق التعريب بالرباط، ص66 : سراج القطرب : Earc-Cockles جنس من نباتات الفصيلة القرنفلية. وانظر معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية (ص 16) Agrostemma وكذلك ص477.

(**) لمزيد من البيان انظر : أبو حاتم الرازي (ت 322 هـ) في كتاب الزينة في الكلمات الاسلامية والعربية، تحقيق حسين بن فيض الله الهمداني، القاهرة1957 م. فقد عرض لمجموعة كبيرة من الألفاظ ذات الدلالات الاصطلاحية بالاضافة إلى معناها اللغوي العام.
وانظر أيضاً : حامد صادق قنيبي في بحثه (التطور الدلالي في لغة الفقهاء) المنشور في مجلة اللسان العربي عدد24 سنة1985 (صص19 ـــ 36). الرباط.

توهم المتقدمين في التأصيل اللغوي وحمله على باب التوسع الدلالي. ولقد سبق أن عرضنا لطائفة من الأمثلة فيما سبق، ونقف هنا عند مثالين آخرين :

فلفظة (الباذِق) (ورقة 107 ب) عند ابن كمال معربة من الفارسية (باده) ولم يخالفه أحد من المتقدمين. ولكنها عند الفرس عامة الدلالة وترادف لفظة (مي) وكلتاهما تعنيان : خمر. شراب. نبيذ كما ورد في (المعجم الذهبي ص 93 و552).

ولكن اللفظة أخذت بُعداً جديداً عند فقهاء المسلمين وما أورده ابن كمال من خلاف الفقهاء لم يكن إلاّ رغبة في تحديد مدلول المصطلح إلى أن انتهى أن (الباذق) : «ما طبخ من عصير العنب فصار شديداً وحدّده الفقهاء أنه الذي ذهب منه أقل من الثلثين (الموسوعة الفقهية للزرقاء : الأشربة ص 11، معجم لغة الفقهاء للقلعجي وقنيبي ص 102).

إذن اكتسب اللفظ بعد تعريبة تخصيصاً وصار مصطلحاً دالاً على مفهوم محدد لدى الفقهاء. والناطق بالعربية لم يعد يعنيه كثيراً دلالته في لغته الأم. وأقول الأم لأني وقفت على خلاف في تأصيل للفظ (الباذق) ففي (المساعد) للكرملي 2 / 173 يذكر : «وكان لليونان المتأنقين في الأشربة وآنيتها نوع من الكؤوس تستعمل لشرب الخمرة المطبوخة، واسمها عندهم batiaca فلعلّ العرب سموا الشيء باسم الآلة».

وفي معجم (ستانغس) ص 141 : أصلها (باده) بالدال المهملة، وإبدال الدال من التاء ممكن.

وفي معجم العلايلي (المرجع ص 345) : «لفظ دخيل قديم من الفارسية أو اليونانية، نوع شديد من الخمر، وورد بفتح الذال». وهو في المصطلح الحديث «بإزاء Eau de vie خمر شديدة معطرة تستخلص بتقطير الثمار أو السوائل المختمرة تحتوي على مقدار من الغول يبلغ (50) درجة تقريبا، ويسمى أيضاً : القنديد».

وهذا فضلاً على أنه شاهد على صعوبة التأصيل اللغوي من ناحية، إلاّ أنه من ناحية أخرى دل على أن اللفظ المعرب صار مصطلحا. ومثله لفظ (البريد)، قال ابن كمال (ورقة 108 أ) : «البريد فإنه معرّب (بُرَيْدَه دُم). قال الزمخشري في الفائق : والبريد في الأصل البغل، وهي كلمة فارسية أصلها (بُرَيْده دُم)، أي محذوف الذنب، لأن بغال البريد محذوفة الأذناب، فعربت الكلمة وخففت ثم سمي الرسول الذي يركبه بريداً. والمسافة بين السكتين بريداً... وبُعْد ما بين السكتين فرسخان» ويقول في نفس الموضع : «وبهذا التفصيل يتبيّن ما في كلام الجوهري وصاحب القاموس (من مجانبة للصواب) حيث قالا : البريد : المرتّب. واثنا عشر ميلا. والرسول. وزاد الثاني قوله وفرسخان. والرسل على دواب البريد ــ فتأمل ما فيه من الخلل».

وما نقله ابن كمال عن الزمخشري متفق مع ما جاء في (مفاتيح العلوم ص 58) للخوارزمي. ولكنه عاب على الجوهري والفيروز أبادي أنهما لم يحسنا تقدير المسافة بين السكتين، وأنهما ذكرا المعاني المولدة من الكلمة.

وشاهِدنا في هذا اللفظ هو التوسع في دلالة اللفظة الفارسية ــ إذا سلّمنا بعجمتها ــ الدالة في الأصل على البغال مقطوعة الأذناب لتدل في العصر الحديث على نظام الاتصالات البريدي. ومن تراكيبها المحدثة : مكتب البريد. ساعي البريد. البريد الجوي. طابع البريد. وزير البرق والبريد والهاتف..الخ.

إذن اللفظ العام صار مصطلحا، وليس هناك من فائدة تذكر في استحضار معناه الأصلي. بل الأفضل والحالة هذه إسدال ستار النسيان على أصل معناه والتعامل مع المصطلح الجديد على اعتباره حقيقة

لغوية ـــ حفاظاً على مشاعر العاملين في مصلحة البريد.

على أن تأصيل اللفظ مازال موضع خلاف بين الدارسين : فصاحب المغرب (1 / 67) لم يقطع بأعجمية اللفظ، وذكر إمكانية اشتقاقه من (بَرُد) ـــ بفتح الأول وضم الثاني ـــ فقال : «و(أبرَد) دخل في البَرْد، كأصبح إذا دخل في الصباح، ومنه : (أبردوا بالظهر) والباء للتعدية والمعنى أدخلوا صلاة الظهر في البَرْد، أي صلّوها إذا سكنت شدة الحرّ» وفي الأثر : كان ابن عباس وابن عمر يَقصُران ويُفطِران في أربعة بُرُد، وهي ستّة عشر فرسخاً». وبُرُد جمع بريد. وفي الحديث : «لا تُقصر الصلاة في أقل من أربعة بُرُد» ويقال : هذا بريد مُنصِب، أي متعب (عن المعجم الكبير 2 / 210، ومتن اللغة مادة (ب ر د).

والعلايلي في (المرجع) لم يورد المادة في (ب ر د) وإنما جعلها مدخلاً مستقلاً قال في (البريد ص 393) : «لفظ دخيل من الفارسية : (الحمل والنقل) الرسول المنطلق بكتاب، ج : بُرُد، قيل دخيل من اللاتينية وهو مردود بما جاء في سفر استير. ومسافة مقدرة باثنى عشر ميلاً. والبريد (لفظ محدث) : نظام التراسل من الجهات وإلى الأنحاء Post، ومؤسسة تأخذ على عاتقها إيصال الرسائل وتوزيعها. ومن مركباته : حوالة بريدية. وطابع بريد Postage stamp ـــ وبريد جوي Air mail. واشتقوا بملاحظته فعلا مزيدا [أبرد إبراداً، فهو مُبرِد] الشخصَ : أرسله بكتاب أو مهمة».

والمعجم الكبير (2 / 210) تجاهل أصل اللفظ وحسبي به أنه اعتبره عربياً فقال : «البريد : الرسول وفي الحديث، أنه ﷺ، قال : «إذا أبردتم إليّ بريداً فاجعلوه حسن الوجه حسَن الاسم». وقال بعض العرب : الحُمى بريد الموت».

وجاء فيه ما يمكن اعتباره ردّاً على ما وجّهه ابن كمال من خلل في تفسير الجوهري وصاحب القاموس، حيث جاء في نفس الموضع : «البريد : المسافة يقطعها الرسول من الطريق ثم ينزل ليريح دابته، وهي فرسخان عن أهل المشرق، وأربعة عند المغاربة... وهذه المسافة تعبّر عن البعد مابين محطة وأخرى تليها من محطات البريد».

أما أدّى شير (الألفاظ الفارسية المعرّبة ص 18)، فقد وهّن رأي من قال بفارسيته، وإذا كان لا بد من عزوه إليها فهو من (بَرْدَن) ـــ بفتح الأول والثالث وسكون الثاني ـــ أي نقل وحَمَل. ومال إلى الأخذ بأنه من اللاتينية على نحو ما سيأتي عند عرض الكرملي.

وقال مار اغناطبوس أن لفظة البريد سريانية، هي Baridho، أي رسول.

كما ذكر أنستاس الكرملي في المساعد 2 / 189 أن اللفظ من اللاتينية veredus بمعنى جواد الساعي. وأول من استعمله بهذا المعنى دسيموس Decimus وهو شاعر ولد في بوردو سنة 309 م وتوفي سنة 395 م.

ولكن فؤاد حسنين في بحثه المنشور في (مجلة كلية الآداب عدد 12 سنة 1950 م) ص 16 : «بريد : رسول، وفي الأصل : بغل. لفظ أكادي : بريدو : أي السريع في مشيته أو الرسول السريع. وعن هذا الأصل السامي القديم انتقل اللفظ إلى سائر اللغات السامية والهندية والأوربية».

وبعد... ؛

فأيُّ الفرقاء أهدى، وأيُّهم أحقُّ بالاتباع ؟

سؤال نطرحه، وأرجو أن نتمكن من الاجابة عنه.

أما وإنّا لو ذهبنا نتتبع الكثير من الأمثلة التي

أوردها ابن كمال فسنصل إلى نفس منعطفات الطرق دون أن نستطيع ترجيح رأي على آخر، وخاصة في الألفاظ المعرّبة القديمة. ومع هذا فإننا لا ندعو إلى وقف الدراسات التأصيلية ولكننا نشير إلى أنها ما زالت تعوزها الدقة رغم توفر إمكانات لم تكن في طوع المتقدمين من الأسلاف. أما هذه الألفاظ المعرّبة فما دلّ منها على مفهوم معين في علم أو فن أو أيّ عمل ذي طبيعة خاصة فنقبل دلالته بغض النظر عن اختلاف الدارسين في تأصيله، لأن دلالته اصطلاحية. ولا يشترط في الدلالة الاصطلاحية أن تتطابق مع الصحة اللغوية على ما سنبيّن فيما يلي :

جاء في المعجم الوجيز (مادة ص ل ح) : «المصطلح : لفظ أو رمز يتفق عليه في العلوم والفنون للدلالة على أداء معنى معين» و(المصطلح) لفظة مولدة لم تدونها المعاجم العربية القديمة والحديثة عدا معجم (هانزفير ص 523) technical term، والمعجم الوجيز على ما صدّرنا به هذه الفقرة. ولكن اللفظة استعملت في نحو : علم مصطلح الحديث، و(مجموعة المصطلحات العلمية والفنية) التي يصدرها مجمع اللغة العربية في القاهرة والمجامع الأخرى. والمصطلحية (علم المصطلحات) علم حديث النشأة، يقول الدكتور علي القاسمي (مجلة اللسان العربي مجلد 18، ج 1)، ص 9 : مع التطور الهائل في العلوم والتكنولوجيا، والنمو السريع في التعاون الدولي في الصناعة والتجارة والاقدام على استخدام الحاسبات الآلية في خزن المصطلحات ومعالجتها وتنسيقها، لم تعد الطرق القديمة في جمع المصطلحات وترتيبها ألفبائيا ووضع مقابلاتها في اللغات الأخرى تفي بالحاجات المعاصرة، ولهذا طوّر العلماء المختصون واللغويون والمعجميون والمناطقة علما جديداً أطلق عليه اسم (علم المصطلحات) Terminology الذي يمكن تعريفه بصورة عامة ب (العلم الذي يبحث في العلاقة بين المفاهيم العلمية والمصطلحات اللغوية التي تعبر عنها). وهو علم مشترك بين علوم اللغة والمنطق والاعلامية وحقول التخصص العلمي. ويهم هذا العلم المتخصصين في العلوم والتقنيات، والمترجمين والعاملين في الاعلاميات وكلّ من له علاقة بالاتصالات المهنية والتعاون العلمي... وتعد المجامع العلمية واللغوية والجامعات المكان الطبيعي لاجراء البحوث النظرية العامة لعلم المصطلحات».

على أن المتقدمين قد عالجوا هذه الموضوعات تحت باب الاصطلاح والاصطلاحات، وعرفوا الاصطلاح بأنه : «اتفاق طائفة مخصوصة على أمر معلوم» (الوسيط مادة صلح). وقد ألفت فيه طائفة من المصنفات نذكر منها :

مفاتيح العلوم للخوارزمي (ت 387 هـ)، وقد جعله مؤلفه في مقالتين الأولى لعلوم الشريعة ومايقترن بها وتشمل ست أبواب. والثانية للعلوم الدخيلة ويعني بها العلوم البحتة والتطبيقية وتشمل تسعة أبواب.

والتعريفات لعلي بن محمد الجرجاني السيد الشريف (ت 816 هـ)، وأكثر مصنفاته في العلوم النظرية.

والكليات لأبي البقاء الحسيني السيد أيوب (ت 1094 هـ)، وقد طبع أخيراً في دمشق.

وكشاف اصطلاحات الفنون لمحمد صابر الفاروقي التهانوي (ت 1158 هـ)، جمع فيه الكثير من مصطلحات العلوم العربية والدخيلة. ورتبه على حروف المعجم.

أما تعريف المصطلح الذي نرتئيه فهو كما ورد في كتاب الدكتور عبد الصبور شاهين (اللغة العربية لغة العلوم والتقنية)، ص 118 : «هو اللفظ أو الرمز اللغوي الذي يستخدم للدلالة على مفهوم علمي أو

عملي أو فنّي، أو أي عمل ذي طبيعة خاصّة». ويقول الدكتور شاهين في نفس الموضع : «وهذا التعريف يضع في حسابه أن المصطلح قد يكون لفظاً، وقد يكون رمزاً لغوياً، فعبارة (رأس المال) مصطلح مركب ذو دلالة اقتصادية، وكلمة (تحليل) مصطلح ذو دلالة علمية عامة، يحددها ما يضاف إليه من مادة للتحليل، والرمز (كت) مصطلح يدل على العنصر المسمى (اكتنيوم)، وقد اصطلح أهل العلم على هذا الاختصار الذي تقرّه الأساليب اللغوية».

ومادة المصطلح إذن ألفاظ عربية مولدة أو معربة ولقد زعمنا أن هذه الطائفة من الأمثلة التي ساقها (ابن كمال) قد سلكت في باب المصطلحات لدلالتها على مفاهيم خاصة ابتعدت عن أصل وضعها اللغوي.

ومن المعروف أن الدكتور شاهين من الذين يذهبون أن اللغة اتفاق ومواضعة، وأنها نتاج الجهد الانساني. وهو في هذا الموقف سيختلف مع (ابن كمال) الذي ينتمي إلى مدرسة البصرة النحوية القائلة بالاشتقاق السماعي الموروث عن العرب في عصر الاحتجاج اللغوي. ولقد أفصح شاهين عن موقفه هذا في تعريفه للاشتقاق بأنه : «استخدام الحركات في صوغ الكلمات من المادة على أساس قياس مطرد»(51) وقال في تعليل التعريف : «وهذا التعريف من وضعنا، وقد جاء في كتب الصرف أنّ الاشتقاق هو تحويل الواحدة إلى أبنية مختلفة لمعان مقصودة لا تصلح إلاّ بها، ونحن نرى أن تعريفنا يصور وحده الآلية اللغوية في صوغ المشتقات، إلى جانب أنه يصنف المادة اللغوية تصنيفاً علمياً دقيقاً، بحيث تعزل الحركات عن الصوامت، ويترتب على هذا التعريف أن يصبح المصدر والفعل الماضي ــ كلاهما صورة اشتقاقية كسائر المشتقات، لا أصلاً اشتقاقياً، كما ذهب إليه القدماء على خلاف بين البصريين والكوفيين»(52).

وبناء على هذا فقد أخذ بمفهوم المحدثين أن اللغة : «نظام العلامات الاصطلاحية ذات الدلالة الاصطلاحية» وهذا باب في التوسع اللغوي في باب المصطلح حتى ولو كان الاتفاق على مصطلحات لغة من اللغات الخاصّة بأرباب المهن والحرف أو الجماعات الخارجة عن القانون، كما يسمي بعض اللصوص رجل الشرطة (حذاء)، ويطلقون على الضبحية (العم أو الزبون)، ويطلق السماسرة والمقامرون على رزمة النقود التي تبلغ ألفاً من الجنيهات : (باكو)، وكل هذا من قبيل المصطلحات بالمفهوم اللغوي»(53)

وللمصطلح الفني عند الدكتور شاهين خواص معينة فهو محدد المعنى لا يدخل فيه الخيال إلاّ بقدر ما يحقق انتقال اللفظ من المعنى الأصلي إلى المعنى الاصطلاحي. وقد يُقبل أن نرى والحالة هذه أن يكون للفظ الواحد أكثر من معنًى فمثلاً لفظ Structure(54) يختلف معناه من فرع لآخر من فروع المعرفة فهو عند المهندس المعماري يختلف عما لدى المهندس المدني أو مهندس الحاسب الآلي (الحاسوب)، أو عند الأديب واللغوي. ومفهوم (فاعل) وهو لفظ عام يدلّ على من يعمل شيئاً ما. ولكنه في علم النحو مصطلحاً يدلّ على اسم أو ضمير مرفوع على الفاعلية، يسبقه فعل أسند إلى المعلوم. ولفظ (المفرد)، فهو في (باب

(51) اللغة العربية لغة العلوم والتقنية، ص260.
(52) اللغة العربية لغة العلوم... ص260.
(53) المرجع نفسه ص 118.
(54) المعنى العام : بنية. تركيب. مبنى. بنيان. هيكل البناء.

الاعراب) : ماليس مثنى ولا مجموعا ولا ملحقا بهما ولا من الأسماء الخمسة، وهو في باب (المبتدأ والخبر) : ما ليس جملة ولا شبيهاً بالجملة، وهو في باب (المنادى) : ما ليس مضافاً ولا شبيهاً بالمضاف(55). وكذا مصطلحات (الرفع والنصب والجر).

ويمكن تقسيم الأسماء بشكل عام إلى أسماء أعلام أو أسماء أجناس(*). وقد سبق أن رأينا أن ابن كمال لم يختلف مع دارسي المعرّبات في أسماء الأعلام الدالة على مسميات معينة من أسماء أشخاص كـ (قباذ) و(انوشيروان) و(سمرقند)، ولكن كان له موقف معين من أسماء الأنبياء صلوات الله عليهم. ولكن كان خلافه في أسماء الصفات، ومن المعربات التي مرت معنا في رسالة (ابن كمال) : شطرنج. زنديق. كنيسة. صنم... الخ

والمصطلح ربما أتى من (عَلَم) أو من (مشتق). ولكنه انتقل من دلالته اللغوية الأصلية ليأخذ مفهوما مغايراً. ومن هنا انتقل (عبد الصبور شاهين) ليعالج مفهوم المصطلح باعتبار المعنى، وصنفه في نوعين(56) :

1 ــ مصطلح يستعمل بمعناه الأصلي في اللغة، ومن أمثلته في رسالة ابن كمال : الابريسم. القز. الشطرنج. الطشت.

2 ــ مصطلح خرج من معناه الأصلي إلى المعنى الاصطلاحي، ومن أمثلته في رسالة ابن كمال : دهقان. باذق. بستان.

وألفاظ اللغة محدودة، وأما المعاني فمتجددة في حياة الانسان. وهنا نلجأ لاستعارة الألفاظ المألوفة لدينا للدلالة على المعاني الجديدة. وهذه سنة اللغات لاختلاف حياة الأجيال، وتطور معاني الألفاظ بالاحتكاك بين اللغات، واقتباس بعضها عن بعض، أو ارتباطها بحدث تاريخي هام.

فـ (البريد) لفظ خرج عن أصل وضعه اللغوي ليدل على معنى اصطلاحي مستحدث. واقرأ إن شئت أمثلة من هذا النوع في كتاب (مفاتيح العلوم للخوارزمي)، وفي معرض حصره لمصطلحات صناعة الجواهر والعقاقير والأدوية، وأنهم ربما عمدوا إلى استحداث لغة خاصة بهم، فيقول : «ويكني أرباب هذه الصناعة في الرموز عن الذهب بالشمس، وعن الفضة بالقمر، وعن النحاس بالزهرة، وعن الأسرُب بزحل، وعن الحديد بالمريخ، وعن الرصاص القلعي بالمشتري، وعن الخارصين بعطارد»(57)، ثم قال : «وقد يقع بينهم اختلاف في هذه الرموز أو في أكثرها، لكنهم لا يكادون يختلفون في الشمس والقمر»(57).

وألفاظ مثل (الضفدع) و(الرحا) و(الخِنْزيرة) لها معان محدودة في أصل الوضع اللغوي. وقد استعيرت للدلالة على معان جديدة من باب الاصطلاح(58). فالضفدع : غدة تنعقد تحت اللسان(58)، والرحا : علة تحدث للمرأة تُشبه حال الحبلى في عِظَم البطن، وفساد اللون، واحتباس الطمث(58). والخنزيرة من آلات الميكانيكا؛ وهي : شيء شبيه بالبكرة إلاّ أنه طولاني الشكل(58).

(55) اللغة العربية لغة العلوم..ص 122.

(*) يقول النحاة : كل ماذل على الجنس صالحا للكثير، مثل : ماء. لبن. عسل، والضمائر، يقال له : اسم الجنس الافرادي. وكلّ ما تضمن معنى الجمع دالاً على الجنس، وله مفرد مميز عنه بالتاء أو ياء النسبة، مثل : تفاح. نخل. نعام. عرب. روم، يقال له : اسم الجنس الجمعي، وكلّ ما تضمن معنى الجمع، ولا واحد له من لفظه، مثل : جيش. شعب. قوم. فيقال له : اسم الجمع.

(56) انظر : اللغة العربية لغة العلوم والتقنية ص122 وما بعدها. وقد تصرفنا بالنص لخدمة الأمثلة التي وردت في الرسالة.

(57) مفاتيح العلوم ص 258.

(58) المصدر السابق صص161، 164، 249. و(الخنزيرة) اليوم تطلق على نوع من السيارات (المرسيدس)، كما تطلق على الآلة التي تسحب بها السيارات المعطلة.

ففي الأمثلة خرجت الأسماء عن أصل معناها لتدلّ على مفاهيم اصطلاحية. ولكن لنا أن نتساءل الآن : عن العلاقة بين المعنى الاصطلاحي المحدث والمعنى اللغوي الأساس ؟

أجاب الدكتور شاهين عن هذا، فقال : إن النشاط اللغوي لا يجري في فراغ ولا بد من علاقة (ما) بين المستويين الاصطلاحي واللغوي. ولقد دأب العرب أن يحققوا علاقة أو مناسبة بين المصطلح ومسماه. وتقوم هذه العلاقة في عقل أول من أطلق تسمية المصطلح (الجديد) فهو لم يتصرف عشوائياً، وضرب لفظة(الخنزيرة) مثلاً، فقال : «وهي تطلق أصلاً على أنثى (الخنزير)، ثم استعملت للدلالة على آلة ميكانيكية لرفع الأثقال أو جرها، سيان، ولا صلة في الظاهر بين المعنى اللغوي الأصلي والمعنى الاصطلاحي، ومع ذلك فلسنا نستبعد أن يكون الفرد الذي استعملها لأول مرة في المعنى الجديد لاحظ وجه الشبه بين الخنزيرة الحيوان والخنزيرة الحديد، وربما قصد من أطلق (الخنازير) على قروح الرقبة تقبيح صورتها، إذ أنها تحول الرقبة المصابة إلى شكل رقبة الخنزير، فكأن المصاب بهذه القروح يحمل على رقبته عدة خنازير، أو ربما كانت القروح في شكل الخنزير، أو في طبعها، أو في نتنها !!» ويقول في نفس الموضع : «ومن الواجب أن نتصور الأمر على هذا النحو : لأن المتكلم لا يمكن أن يتصرف في لغته إلاّ بإملاء مجموعة العادات التي ترسبت في ذوقه، وكوّنت لديه ما يعرف بالسليقة»(59).

ولعله لهذا السبب توهم بعضهم أن (الشطرنج) مشتق من المشاطرة أو التسطير... ظنا أن اللاعبين يقتسمان القطع شطرين، أو يجعلونها أسطراً (ورقة 106 أ) أو أنه «معرّب من (شدرنج)، أي زال الألم... فإن تلك اللعبة سبب لتشحيذ الخاطر وتنشيطه لا ما ذكر من صيرورة السعي باطلاً، والعناء هباءً» (ورقة 105 ب). وكل ما ذكر في محاولة لتأصيل الكلمة خطأ على ما أوضحنا.

وعلى هذا النحو يمكن إطلاق العنان للخيال المجنح لردّ أسباب ارتجال المصطلحات سواء في المصطلحات العربية أو المعربة على نحو ما ذكرنا من مصطلحات : الضفدع. الرحا. أسماء الكواكب — فلابد من وجود علاقة نسجها الخيال. وكذلك الزنديق (من زن + دين = دين المرأة). وأعد النظر فيما قدمنا في تحليل (البريد)، وكذلك ما ورد في تحقيق الرسالة من مفارقات التصرف في التأصيل.

ولكن من المقرر عن علماء اللغة أن كثيراً مما نستخدم من اللغة هو في الواقع خارج عن معناه الأصلي أو التاريخي، إلى معان محدثة متطورة، نتيجة حركة اللغة المستمرة. فنحن نقول : فلان مُسْرِف وأسرف ماله : إذا بدّدَه وأنفقه في غير حاجة. ولكننا نسينا أن أصل الفعل مشتق من (السُّرفة)، وهي دويبة سوداء الرأس سائرها أحمر، تقع على الشجرة فتأكل ورقها وتفسدها (المقاييس مادة : س ر ف). ونافق ومنافق من (النافقاء)... وفي العامية المحدثة نقول : (الشندويش)، أي الشطيرة المحشوة، وهي لفظة انجليزية نسبة إلى مبتدعها اللورد Sandwich الذي عاش فيما بين 1718 — 1792 م.

والتحول إلى المعنى الجديد يتم متدرجاً مع سير الزمن يرافقه تفسير للمقصود من استعماله، ويعضده مرادف آخر من جنسه وكثيراً ما يكون شبيهاً باقتراح ناقص المضمون. وضمن هذا الاطار تسير رحلة المصطلحات المعربة سيرها حتى إذا شاعت وتداولتها الألسن صارت بمنزلة الأصيل أو طغت عليه.

وابن كمال (ورقة 109 ب) عاب على

(59) اللغة العربية لغة العلوم ص 127.

الجوهري وصاحب القاموس والفاضل الشريف لأنهم رغم اعترافهم بأن (السرداق) لفظ معرّب إلاّ أنهم توهموا في تحديد معناه أولا، ثم توهموا في ردّه إلى أصله الفارسي ثانياً. فهو عنده معرب (طاق سرا) فقدم المضاف إليه على المضاف فصار (سراطاق) بمعنى سقف قوسي الشكل لبناء. ولكن العرب اصطلحوا على إطلاقه على كل ما أحاط بشيء من حائط أو مضرب. ثم صار الفسطاط يجتمع فيه الناس لعرس أو مأتم وغيرهما(60). سيان. ثم توسع العرب في القياس فقالوا (سَرْدَق) البيت : جعل أعلاه وأسفله مشدوداً.

ومثلها لفظة (دهقان) (ورقة 110أ) فلقد زعم بن كمال أن العرب توهموا في المعنى الاصطلاحي لها إذ جعلوه «في جملة القذف، وهذه لأن العرب يستنكفون من هذا الاسم، ولا يسمون به إلاّ العلوج» وقالوا في الجمع دهاقنة، ودهاقين... وهو في الأصل لفظ للمدح إذ معناه = رئيس القرية ومقدم أصحاب الزراعة. ويقول ابن كمال : «وهذا من أعجب المسائل فلفظ الدهقان فينا للمدح والتعظيم».

وأقول : لماذا العجب فلقد توسّع العرب في دلالة (المصطلح)، ولا بدّ أن تصرفهم اللغوي لم يجر في فراغ على نحو ما بيّناه، فلا بدّ أنهم لاحظوا أن رئيس القرية من العلوج يمتلك المال والعقار وقد سُلّط على رقاب العباد وتصرف بشدة وقسوة فقرنوا صفات الذم بمسماه فصار الدهقان والدهاقنة من الألفاظ الدالة على الذم، وتلاشت الدلالة التأصيلية للمعنى الفارسي الأول.

وعلى هذا النحو نستطيع تحليل الألفاظ الأخرى في رسالة (تحقيق التعريب للكلمة المعربة) لابن كمال... فظاهرة التوهم التي أكثر ابن كمال من تعقبها لدى المتقدمين سواء في قصورهم ردّ الكلمة إلى أصولها، أو عدم التزامهم بمعنى الكلمة المعربة كما هي في اللغة الفارسية. وهما الدافعان وراء تأليف رسالته.

ولكننا نستطيع تعليل هذه الظاهرة على اعتبار أنّ هذه الألفاظ كانت حديثة الاستعمال على ألسنة العرب ومازالت في بداية استعمالها وتبوأت مكانة (المصطلحات) وساغ استخدامها كمفاهيم قياسية محددة الدلالة. فمن منا يستغرب ـــ اليوم ـــ دلالة (الشطرنج ـــ بفتح الشين) للدلالة على اللعبة الهندية المعروفة. أو يقول في (السياسة) أنها من (سه يسا) أي التراتيب الثلاثة. أو أن (منجنيق) يعني : أنا ما أجودني. أو أن (البستان) يعني ناحية الرائحة. أو أن (الصنم) يعني : عابد الوثن لا الوثن نفسه... وغيرها كما وردت في رسالة ابن كمال.

إن مسلك التعريب هو في الواقع محاولة صوغ لفظ ـــ مصطلح ـــ جديد من أصول لغات أعجمية. وهذا المصطلح وليد جديد لم يعد محصوراً في حدود معاني أصوله الأعجمية، بل هو على وشك النمو باطراد وأمامه مسيرة إن قيض له حظ الشيوع والاستعمال بعيداً عن مدلوله الأصلي. وسيغدو هذا اللفظ الوليد مصطلحاً عربياً تجرد مما تجمع في مقابله الأعجمي من مفاهيم اكتسبها خلال رحلته التاريخية. يقول الدكتور محمد كامل حسين (متنوعات 2 / 127) : «وقد وجد العلماء المعاصرون في بداية مواجهتهم (لمشكلة المصطلح) أن اختيار الرموز الدالة على الأشياء لا ينبغي أن يكون اختراعا أوليا، بل رأوا أن يختاروا من بين صفات الأشياء صفة يحسبونها غالبة، وقد يكون اختيارها لسبب من أدهى الأسباب، ثم رأوا أن يشتقوا الأسماء من هذه الصفات المختارة... ثم يضيع المعنى الأول لهذا المصطلح وسط الصفات العديدة التي يخلقها البحث والدرس. من

(60) الوسيط (مادة سردق)

ذلك كلمة (الأوكسجين)، أصل معناها : (مكوّن الصدأ)، ثم لم يصبح أحد يفكر في هذا المعنى بعد أن عُلم كل شيء عن صفات الأوكسجين. ولو علم في أول الأمر أنه (مكون الحياة) لصحّ أن يسمى (بيوجين)، والواقع أن اختيار العلماء للأسماء لم يكن لسبب علمي خاص، وإنما هي وسيلة يلتمسونها لوجود الكلمة، وليس للمعنى الأصلي لمكونات الكلمة قيمة بعد أن يصبح الاسم مقبولاً».

ويقول في موضوع آخر من المقال (ص 128) وكلمة (أوبسونين) معناها في اللاتينية (أحضر للأكل)، ولكنها كمصطلح يعني : الدم الذي يعلق بالميكروبات فيجعلها أسهل هضما على الخلايا التي عملها القضاء على الميكروبات. ولابدّ أن هناك علاقة (ما) قامت في ذهن واضع المصطلح. وليس لنا أن نستحضر هذه العلاقة بين اللفظين كلما ردّدنا مصطلح (أوبسونين). وقد يصعب علينا أحياناً إدراك هذه العلاقة، وربما أسدل التاريخ عليها ستار النسيان. وليس مهماً كل ما ذكرنا بقدرما يهمنا التعامل مع المصطلح بمعناه الجديد، كأنه تعامل مع الحقيقة. ولم يعُد بَعْدُ اهتمامنا منصبا على تأصيل مصطلح (البريد)، وعاد ردّه إلى الأصل التاريخي مجرد ترف. ولكن الحرص منصب على التعامل مع (البريد) كحقيقة لغوية لها دلالة معيارية على مفهوم من مفاهيم العصر.

والمتتبع للألفاظ المعربة التي لاكتها ألسنة العرب يجد أنها قد اكتست حُللا جديدة أبعدتها عن أصل معناها اللغوي Semantic shift لتصبح مصطلحات تعبّر عن مفاهيم خاصّة، يفهم كلٌّ منها في إطار الموضوع الذي تستخدم فيه. لقد حرص العرب على تحقيق علاقة بين الشكل والمضمون، يقول مصطفى الشهابي : «والمصطلحات لا توجد ارتجالاً ولابد في كل مصطلح من وجود مناسبة أو مشاركة أو مشابهة كبيرة كانت أو صغيرة بين مدلوله اللغوي ومدلوله الاصطلاحي»(61).

ولكن ليس شرطاً أن تكون هذه العلاقة وفق معايير دقيقة وقد يجوز لنا القول إن العرب قد عبثوا بالألفاظ الأعجمية وخاصة في عصورهم الزاهرة وربما كان ذلك لأن اللغة العربية كانت لغة المنتصرين على حساب لغة المنهزمين فأعمل العرب يدهم في لغات الأمم الأخرى يتصرفون كيف يشاءون ترجمة، أو تعريباً، أو تدخيلاً. ولم يكن للمعربات القديمة هيمنة المعربات الحديثة في الضمير اللغوي. ويلحظ الدكتور محمد كامل حسين هذا المسلك في تعمد علماء اللغات الأوروبية الاغارة على اللغات القديمة فيقول (المنوعات 2 / 129) : «فأغاروا عليها إغارة عنيفة يشتقون منها، ويفسدون فيها، ويحددون لألفاظها معاني لم يقل بها أحد من أهلها. واستبيح في هذا السبيل كل خطأ وكل تجاوز وكل تأويل... فأية لغة لا توجد فيها كلمة (اللذة) ؟... ولكن علماء التحليل النفسي رأوا أن (اللذة) كلمة لها من الشيوع ما يجعلها غير صالحة للعلم، فاختاروا كلمة (الليبيدو)، لأن بعدها عن المألوف يتيح لنا أن تجعل لها شخصية علمية قائمة بذاتها... ولو أن أرسطو بُعث اليوم فرأى كلمة (الأنافيلاكسيه) لأنكرها، ولو علم أن معناها هو غيبة (حارس المدينة) وأنها أصبحت تستعمل لوصف (الصدمة) التي تحدث للأرنب حين يحقن بطريقة خاصّة لظن بعلمائنا الجنون فضلاً عن الجهل». ويقول في موضوع آخر في المقال «وآخر مايؤبه له في هذه المصطلحات المشتقة من اللغات القديمة المعاني التي تدل عليها أصولها. هذا شيء لا قيمة له أبداً في اللغة العلمية والذين يعنون بمعاني هذه الأصول ويحسبونها سر نجاح اللغة يخطئون في فهم حقيقة لغة (المصطلحات)».

(61) المصطلحات العلمية ص3.

ولقد حدث مثل هذا في اللغة العربية، فلقد أطلق المتقدمون على مرض (القولنج)، الشديد اسم (أيلاوش)، معرّبا عن تسميته اليونانية (ايلاوس)، ومعناها : ربّ سلّم، ويقال أن من أسمائه : المستعاذ منه[62]. فمن المستحيل ترجمة هذه اللفظة ترجمة حرفية لما تثير من السخرية، وهو على ترجمتنا under stand ب : تحت واقف، وليس ب (يفهم).

وفي كتاب (رسالة أسباب حدوث الحروف لابن سينا) ص 64 : جاء في (القانون) 1 / 44 : «الحنجرة عضو غضروفي خُلق آلة للصوت، وهو مؤلف من غضاريف ثلاثة : الدرقي أو الترسي، **والذي لا اسم له**، والمُكبّي أو الطرجهاري»[63]. يقول الدكتور شاهين (اللغة العربية... ص 217) : «إن ابن سينا هو واضع هذا المصطلح على أساس التصرف في الترجمة، وقد لاحظ أستاذنا الدكتور إبراهيم أنيس أن مقابل هذا المصطلح في اليونانية هو Epiglotis، ولما كانت السابقة Epi تعنى (فوق أو على)، وكانت glotis تعنى : اللسان في اليونانية، فإن مفهوم التركيب حينئذ (فوق اللسان)، وكأن ابن سينا لاحظ أن هذا الغضروف لا اسم له يعينه كسائر الغضاريف، فأطلق عليه هذا التعبير الذي يلخص معاملة اليونانية له وصار يعامل معاملة الكتلة، وإن كان مبناه قائماً على الأساس الوصفي».

والخلاصة، فإنه بعد اعتبارنا هذه المعربات مصطلحات فمن المقبول حالئذ أن لا نعنيّ النفس بالبحث عن تأصيلها في لغاتها طالما أن الغرض من المصطلح هو الدلالة على مفهوم محدد في علم أو فنّ أو أي عمل ذي طبيعة خاصة. ولقد ثبت بالتتبع أن المتقدمين لم يسلكوا طريقة واضحة في صوغ المعربات، كما أن إلحاق اللفظ الأعجمي بالوزن العربي أفقد الأعجمي خاصياته. وبات من العسير على اللغوي أن يستخرج الأصل الأعجمي الذي صار تبعا لذلك كلمة مخضرمة لا يمكن ترتيبها في لغتها الأصلية ولا في اللغة العربية كذلك.

ثم إن ما يقرره علماء المصطلح الحديث أن دلالة المصطلح هي الحقيقة العلمية، ولا يشترط في هذه الدلالة أن تتطابق مع الحقيقة اللغوية، يقول مصطفى الشهابي : «والاصطلاح يجعل إذن للألفاظ مدلولات جديدة غير مدلولاتها اللغوية أو الأصلية»[64].

أما التأصيل في المعربات الحديثة فهو موضوع آخر وسنعرض له تحت عنوان التأصيل المقبول، وإنما غرضنا من عقد هذا المقال دفع فطنة الوهم في باب المعرّبات القديمة إذا نظرنا إليها على أنها من لغات قديمة عفاها الزمن وبات البحث في أصولها محفوفاً بمخاطر الزلل كما رأينا.

3. 1. منحيان في الدرس التأصيلي الحديث :

إن اللفظة المعرّبة تحكي تاريخاً واقعاً من تاريخ العربية، فجملة هذه الألفاظ إن هي إلاّ تعبير عن مفاهيم مادّية في الحياة العملية والشئون اليومية وأساليب الادارة، ومما يجري في المنزل والسوق، وما يستعمل من أدوات الطعام والشراب واللباس في السلم والحرب وما يصحب ذلك من تبدل حضاري في مظاهر العادات والأوضاع الاجتماعية والأخلاق الشائعة والمعتقدات والأحداث التاريخية في كل عصر رقياً أو تدهوراً.

ولقد سبق أن اقتبسنا فقرات من مقدمة معجم الألفاظ الهندية المعرّبة الذي نشره الباحث محمد

(62) معجم دوزي ــ تكملة المعاجم العربية 1 / 219.
(63) تحقيق محمد حسان الطيان ويحيى مير علم، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، 1983 م.
(64) المصطلحات العلمية ص3.

يوسف في مجلة اللسان العربي (مجلد 10 ج 1) وقد تأكد لنا قيمة التاريخ الحضاري كوسيلة للحكم على أصل بعض الكلمات حينما لا تسعفنا المعاجم اللغوية.

ولكننا يمكن أن نلحظ منحيين في التأصيل اللغوي في الدرس اللغوي الحديث، أولهما التأصيل الموثق، وثانيهما التأصيل الخيالي :

3. 1. 1. التأصيل الموثق :

لقد أحسن اللغويون المحدثون استخدام التاريخ الحضاري لترجيح قناعاتهم في البحث، واسترشدوا على ضوئها في التثبت من صحة ما ورد في الأصول اللغوية. وقد صدر جزءان من المعجم الكبير عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وهو عمل يدلّ على عناية ممتازة ومعرفة دقيقة باللغات المقارنة وقد تضمنت الدراسة تصحيحات لكثير من الآراء التي كانت محل خلاف. ونأمل أن نشهد استكمال هذا العمل الموعود. ولا شك أنه سيفيد من هذه الدراسات على يد الصفوة من الدارسين في هذا الباب التي ندعو إلى إثرائها.

وإذا كان مسلك التأصيل اللغوي عند ابن كمال باشا يرتكز ابتداءً على معرفته الجيدة للغة الفارسية، إلاّ أننا نلحظ أن أحكامه التي وفق إلى الوصول إليها كانت تساندها حقائق التاريخ الحضاري. وفيما يلي عرض لبعض الأمثلة :

ففي (الزنديق) بعد أن وهّن كلّ الآراء التي عرضت للفظ بسبب الجهل في اللغة الفارسية، أو عدم ربطها بين استعمال اللفظ ودلالاته التاريخية قال (ورقة 107 ب) : «وإنما رجحنا القول بأنه معرّب (زندة) على القول بأنه معرب (زندي) لأن الياء في آخر الكلمة لمطلق النسبة في لغة الفرس، والهاء فيه للاختصاص والانتساب الخاص... ولا يذهب عليك أن المناسب لحال المنتسبين إلى (الزندة) هو الثاني دون الأول ثم إن إبطان الكفر ليس في أصل معنى الزنديق» ــ ويقصد بالرأي الثاني قول الشريف الفاضل من أن أصل معناه : الانتساب إلى (زند) وهو كتاب (مزدك) الذي ظهر في زمان (قياذ) الذي دعا إلى الثنوية والاباحية.

وفي (سمرقند) رجّح قول ابن خلكان الذي ردّ قول ابن قتيبة صاحب (المعارف) الذي أصل اللفظ بانتحال قصة خيالية، وقال (ورقة 110 ب)«وعلى هذا يكون (كند) اسماً جامداً مضافاً على القاعدة التي تقدم بيانها، وللملاحظة هذا التغيير، قال ابن خلكان : فكأنه بلد شمر. وإلاّ فموجب ماقدمه من البيان هو القطع بالمعنى المذكور. ومن كلامه تبيّن أن من زعم أن (كند) في المعنى الثاني [مدينة، بلد بالتركية] فارسي لم يصب».

وفي (منجنيق) رجّح أنه معرّب لما فيه من اجتماع الجيم والقاف فإنهما لا يجتمعان في كلمة عربية مثل(الجرموق) و (الجوسق) ولمعرفته الجيدة باللغة الفارسية اهتدى إلى أنه معرب (ورقة 111 ب) «(منجك نيك) ومنجك في لغة الفرس ما يفعل بالحيل».

وفي (كنيسة)قال ابن كمال (ورقة 111 ب) : «قال الامام المطرزي في (المغرب) أنه معرب (كنشت) وعندي أنه معرّب (كليسا) لأن (كنشت) معبد اليهود خاصّة. كما أن (كليسا) معبد النصارى... و(كلسيا) أصله (كليسيا) فحذف أحد يائيه تخفيفاً» وهذا تأصيل جيد وردّ في موضعه على أوهام المطرزي والجوهري وصاحب القاموس.

وقد نعثر في كتب المتقدمين على لمحات ذكية في التأصيل في كتاب الصيدنة للبيروني(ت 443 هـ) مواقف لطيفة في هذا الباب منها قوله في تأصيل لفظة (الصيدنة) و(الصيدناني)، وهو المحترف بجمع الأدوية

ومعرفة أنواعها مفردة ومركبة فقد ذكر أن حرف الصاد معرّب الچيم (چ) كما فُعِل ب (الصين) أي جين china (النصّ العربي ص 3) : «وذلك أن ولوع الهند بالصندل يفوق ولوعهم بسائر أهضام العطر وأفواه الطيب ويسمونه (چندن) و(چندل). وتجار السلع المجلوبة من شواسع البلاد وأقاصي الجزائر والسواحل ينسبون إما إلى الأمتعة التي يتبايعون بها، وإما إلى المعادن التي جلبوها منها، وإما إلى سموت طرقهم التي جاءوا منها، وإما إلى الفُرْض[65] التي أرفئوا إليها، وذلك كالعنبري لبياعه، والمِسْكي لشاربه، وكالشَلاهِطي[66] والشِّحْري[67] في تاجر العنبر، والهندي والتبتي لجالب المسك،... والخَطّي من الرِّماح نسبة إلى القرى من أرض عُمان على الساحل فإنها فُرض[*] متوالية على الساحل كهيئة الخط، ومنها (دارين)[68] مرفأ السفن الحاملة في قديم الزمان العطر والطيب...

وأما قول بعض اللغويين في (الصيدناني) : أنه دويبة طويلة لا تكاد أرجلها تعدّ لكثرتها وتفاوتها في الطول والقصر، قد شبه بها الصيدلاني لكثرة أدويته واختلاف جُرُبه وأوعيته، فهو لَغْوٌ بحت... وربما جعلوا النسبة في بعض الأشياء اسماً كالعود فإنهم يسمونه (مَنْدَلِيّاً) نسبة إلى موضعه[69]... فهذه حال الأمتعة وجالبيها».

وعلى العموم فإن كتاب (الصيدنة)[*] لأبي الريحان محمد البيروني (ت 443 هـ) جدير بأن ينظر إليه نظرة لغوية لما احتوى من تخريجات لغوية، وقد قال البيروني في مقدمته (ورقة 14) : «وفي أيدي النصارى كتاب يسمّونه (يُشّاق شماهي)، أي : تفسير الأسماء، ويعرف أيضاً (جهار نام) بمعنى أن كلّ واحد مما فيه مسمّى بالرومية والسّريانية والعربية والفارسية، وكنت وجدت له نسخة بالخط السّوريّ[70]، وليس فيه شيء من الآفات المؤدية إلى التصحيف فنقلت مما فيه أكثره. ولهم كتب تسمى : (لكسيقونات)[71] تشتمل على غرائب اللغات وتفسير المشكل منها. وربما أفردوها لكتاب كتاب[72]، فعندي (لكسيقون لزيج بطليموس) مكتوب ما فيه بالخط السرياني ثم بعينه بالعربيّ ثم تفسيره. وإليه أرجع في مطالبي، ووجدت فيه من كلّ واحد من (كتاب الحشائش) المنسلك بتصاويره... مكتوباً عند الأدوية أساميها بالخط اليوناني فنقلتها... ولو ظفرتُ بباقي الكتابين كذلك لتم الأمر. وفي الاحاطة باسم الدواء الواحد بصنوف اللغات فوائد».

ولكننا في الدراسات الحديثة نرى دراسات أكثر نضجا ومن ذلك ما نقرأه في (المساعد) للكرملي، واقرأ إن شئت تأصيل الألفاظ التالية : الأم (جلدة الرأس)، 2 / 37، الاسطرلاب 1 / 213، الاقرباذين 1 / 256، الاسفنط 1 / 218، بادزهر 2 / 109.

وفي كتاب (أصول ألفاظ اللهجة العراقية)

---

(65) الفُرْض : بضم الفاء. (ج) فُرَضَة : محطُّ السفن على ساحل البحر. وما زالت الكلمة مستعملة في لهجة أهالي الخليج العربي.

(66) نسبة إلى شلاهط من جزيرة سيلان.

(67) صقع من ناحية حضرموت.

(*) كذا في الأصل والصواب (فُرَضة) على ما سبق بيانه.

(68) قرية على ساحل الخليج العربي تبعد بضع كيلومترات عن (الدمام) قصبة المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية الآن. والنسبة إليها داري.

(69) موضع بالهند، لذا يقال عود الهند، وعود الند.

(*) حققه الحكيم محمد سعيد والدكتور إلمي إحسان ران. ونشر بخط اليد عام 1973 (كراتشي) بمناسبة الاحتفال الدولي بمرور ألف عام على ولادة البيروني.

(70) بالسرياني.

(71) Lexicon.

(72) أي أن لكلّ كتاب في موضوعه دليلاً لغويا Handbook.

محمد رضا الشبيبي : البند ص 29، التخت ص 32، الخشل ص 48، الكشك ص 84، الناموس ص 93. وفي مقال (إبراهيم السامرائي) المنشور في كتاب (دراسات عربية وإسلامية) ص ص 159 ــ 194 طائفة جيدة من الأمثلة التحليلية في باب التأصيل.

ورغم أنه ليس من غرضنا حصر الدراسات في هذا الباب إلاّ أننا نشير إلى بعض منها : كتاب «تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية» لطوبيا القيسي الحلبي. وكتاب «الألفاظ الفارسية المعربة» لأدّى شير الكلداني. وكتاب «غرائب اللغة العربية» لرفائيل نخله اليسوعي. و«التطور النحوي» لبراجشتراسر. و«الدخيل في اللغة العربية» لفؤاد حسنين علي المنشور في مجلة كلية الآداب المجلد 12، ج 1، سنة 1950. وأبحاث متفرقة في دوريات المجامع العربية ومكتب تنسيق التعريب بالرباط...

ومن الملاحظ على دراسات المحدثين أنهم أدركوا صعوبة هذا اللون من الدراسات لأنهم اعتمدوا الحقائق من الوقائع التاريخية والاقتصادية والاجتماعية خضوعاً لمتقضيات البحث العلمي، ولم يشتطوا في الخيال والحدس. واستدركوا على المتقدمين استيعابهم الجيد للغات الأخرى، وخاصة فهم دور الكواسع في اللغات الأخرى لأن ما يميز العربية عن غيرها أن العربية لغة اشتقاق واللغات الأخرى لغات نحت وإلصاق. ورغم ذلك لم تسلم دراسات بعض المحدثين من خطأ أو وهم على نحو ما سنعرض له :

وهاك نموذجا من الدراسات الحديثة :

جاء في (المساعد 1 / 189) :

«(الأَرَقان) ــ بالتحريك ــ وفيه عشر لغات بفتح الأول أو كسره وسكون الثاني، وبكسرهما، وبفتح الأول وضم الثاني» الزعفران أو الحناء(*).

قال الكرملي : «جاء في معجم البلدان لياقوت (مادة بنارق) : «...قال حدثني جدي لأمي أبو الحسن وزوجته وجماعة كثيرة من قريتنا بنارق أنه لما استمر تطرق العساكر لقريتنا أجمعنا على الرحيل... فلما كان الليل عبرنا دجلة... وقد استصحبنا ما خف على أكتافنا ودوابنا. فتأملنا فإذا نيران عظيمة ومشاعل جمة ملءَ البرية فظنناها مشاعل العساكر فندمنا... فبينما نحن نتشاور وإذا تلك النيران قد دهمتنا وغشيتنا فإذا هي سائرة بنفسها لا نرى لها حاملاً... فعلمنا أنهم الجن !!».

وفي أيلول 1918 م اشتد الحرّ على غير مألوف العادة، وشاهد كثيرون من أبناء بغداد في بعض الليالي أنواراً تطوف في مقابر النصارى واليهود، وفزعوا من تلك المشاهد الغريبة.

والحقيقة أن هذه النيران من الأمور الطبيعية في الديار التي يشتد حرّها ويكون فيها غازات تنبعث عنها. وقد سمّاها العرب الأرقان أو اليرقان وسماها الفرنسيون feu follet[73] والانجليز باسم ingnis-fatuns (الوهج المستنقعي) ومن هذه النار ما يسمى بالفرنسية feu Saint Elme وبالانجليزية Saint Helle'n fire. وقد ذكر هذه النار أيضاً الشريف الادريسي في جغرافيته، فقال : إنها طائر يحوم حول رؤوس الصواري أو على حبل المركب».

وهذه النار عائدة إلى الكهربية الجوية كما يقول المحدثون من العلماء. واحمرار هذه الكهربية الجوية يشبه احمرار النبت المعروف بالبهمن Statics limonium.

(*) في معجم متانغس ص 38 أنها كلمة يونانية تعني اللوز الجبلي أو الحناء Privet.

(73) وافق مجمع اللغة العربية بالقاهرة على (الوميض الفسفوري) هذه الكلمة الفرنسية.

وذكر ابن بهلول (الحسن النسطوري في معجمه السرياني ـــ العربي) : «الأرقان : طائر زعفراني يظهر في تموز في الخرابات والمقابر». واسمه بالأرمية : يَرْقانا... ويقال له بالعربية أيضاً يَرَقان. وهذا التعريف هو على رأي الأقدمين. وأما اليوم فقد ثبت أنه ليس بطائر بل إنما هو أبخرة لطيفة تتصاعد من المقابر وبعض المستنقعات والأخربة التي تكثر فيها الجيف أو العظام... إن تلك الأبخرة سماها بعض علماء عصرنا بالنار التائهة نقلاً عن الافرنج، وكان يسميها العرب في عصر العباسيين : الأرقان».

وفي بحث فؤاد حسنين علي المنشور في مجلة كلية الآداب ـــ جامعة فؤاد الأول ـــ المجلد 12، ج 1، سنة 1950 م دراسة تأصيلية جيدة لمجموعة من الألفاظ الدخيلة، اقرأ إن شئت : بردج : برده (ستارة) ص 15. زبون : المشتري أو البائع ص 40. شفره : لغة المخاطبة السرّية (ص 58). فردوس : الجنة ص 73. فستان : ثوب الأنثى ص 73. فلك : سفينة ص 76. قبة : بناء سقف مستدير مقعّر معقود بالحجارة أو الآجر ص 79. منديل : نسيج يتمسح به العرق ص 113... وغيرها وسأثبت هنا مثلين من تخريجه :

قال في (بنزين) : «سائل لوقود السيارات والطائرات : عربي : لبان جاوى >(74) الهندية الأوروبية : بنزو Benzoe : ولما جرت العادة قديما أن يستخرج سائل البنزين عن طريق تسخين حامض البنزو أطلق العلماء على السائل المستخرج منه : بنزين>العربية» : ص 19.

وقال في (قبة) : «بناء سقف مستدير مقعّر معقود بالحجارة أو الآجر : اختلفت الآراء حول هذا اللفظ وأصالته وأصالة مضمونه في اللغة العربية، وذلك لاشتراك الأسرتين اللغويتين السامية والهندية الأوروبية فيه لذلك رأيت أن أعرض له كاشفا القناع عنه مبينا ساميته وأصالته عند الساميين وإن كان دخيلا في العربية. لم يعالج الخفاجي هذا اللفظ كدخيل بل ذكره عندما تحدث عن (أبو رياح)، فقال عنه بمعنى طائش تشبيها له بتمثال له من نحاس على عمود من حديد فوق قبة. ولفظ (قبة) هذا دخيل في العربية وهو سرياني أصله (قوبا) أو (قوبثا) واستعارته بعض اللغات السامية فهو في العبرية (قبث)، وفي المندعية (قومبا) أو (قومبثا).

وقد نقل العرب هذا الفن من البناء ومدلوله إلى إسبانيا حيث نجد alkoven (الكوفين). ولم يقف انتشار هذا الفن عند شبه جزيرة إيبريا بل سرعان ما نجده ينتشر في سائر أنحاء أوروبا من جديد بعد أن سبق لها أن عرفته عن طريق اليونان. ومع هذا الفن غزا مدلوله اللغات الأوروبية ففي اللاتينية cupa (كوبا)، والايطالية cupola كوبولا، والألمانية Kuppel (كوبل)، والفرنسية coupole (كوبول)، والانجليزية cupola (كوبولا).

وهل كان يخطر ببالنا يوما ما أن هذا اللفظ السامي القديم يترك هذا الأثر العظيم فيتعدى ما وضع له، ويفرض نفسه على كل شيء جمعته به رابطة ما ولو كانت رابطة الشكل فقط فنجده في cup (كپ) الانجليزية وcoupe (كوب) الفرنسية، وcoppa (كپا) الايطالية بمعنى : فنجان : ثم تأتي العربية وتستعير عن الايطالية أو الفرنسية أو عنهما معاً لفظ (كوب) أو (كوبة) أو(كباية) في المعنى المتداول بيننا ؟

ولم يقف أثر هذا اللفظ عند هذا الحدّ بل نراه يبسط نفوذه على اللغة الألمانية فيحتل منطقة واسعة من مناطقها اللغوية فنجد koppchen (كوبشن) (شن : علامة تصغير) بمعنى فنجان و koppe (كبّا)

(74) هذا الرمز عنده يعني انتقال اللفظ من لغة إلى لغة.

قمة الجبل وkopf (كُبْف) (رأس). وغير هذه المعاني نجد الشيء الكثير عند فحص كل مادة على حدة في اللغات المختلفة.

وإمكانية التأصيل في الألفاظ المحدثة أكثر سهولة وأيسر مسلكاً، لأنه يتم عبر لغات حية. فالفاتورة : قائمة بالأشياء أو المبالغ المطلوبة من الايطالية fattura (فتورا)، وانظر (معجم المؤنثات السماعية، حامد صادق قنيبي) فقد حشد طائفة من الألفاظ المعرّبة الحديثة، وبيّن أصولها. وأشار إلى مصادر دراسة هذه الألفاظ من المعجمات والدوريات والأبحاث.

على أننا لا نعدم وجود اختلاف بين الدارسين المحدثين في تأصيل المعربات، رغم أن كل فريق يزعم أنه قد سلك المنهج العلمي مبتعدا عن الحدس والتخمين، ومن ذلك ما أشار إليه انستاس الكرملي في (المساعد 1 / 230) : «ارتأى الأستاذ عبد القادر المغربي في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق (17 / 245) أن كلمة (الاشتيام) من أصل فارسي هو (اشتا)، أي سبّاح، ثم انتقل معناها إلى (رئيس المركب الذي لا يمكن أن يكون خبيراً بالسباحة ذا علم بها). وعندي أن (الاشتيام) قديمة في العربية، وأنها من صدر الاسلام... ويختلف معنى (الاشتيام) باختلاف الأزمان والبلاد... وهي ليست من أصل فارسي كما قال الأستاذ (لين) في كتابه (مدّ القاموس)، وأنه من (أستيام)... فلم يبق لنا إلاّ القول بأنها من الآرمية، أو اليونانية، والقول بأنها من الآرمية هو رأي جمهور المستشرقين... فهي من (الاشتياما) الذي معناها (الخاتم)... والكلمة على رأيهم مشتقة من الفعل (شتم) أو (ستم)، أي ختم وسدّ وسَدَمَ وسطم في لغتنا»...

وهكذا نرى اختلاف الآراء وكلٌّ يذهب في رأيه مدعياً استناده على حقائق، لايملك الباحث إلاّ الحيرة إزاءها.

ولقد وصَّم إبراهيم السامرائي دراسات طائفة من الباحثين المحدثين بأنهم قد سلكوا مسلكاً غريباً مناقضا للعلم في ادّعاء سريانية قدر كبير من الكلم العربي. وقال : «ولا يمكن هذا في عصرنا، عصر المعرفة اللغوية التي أدركت العلم اللغوي التاريخي مما يتصل بعلم اللغات السامية المقارنة»(75) وقد صنع معجما استدرك فيه على أعمال كل من : يوسف حبيقه البسكتتاوي صاحب (الدواثر السريانية في لبنان وسورية)، وفيليب حتي صاحب (اللغات المحكية في سوريا ولبنان)، ومار أغناطيوس أفرام الأول صاحب (الألفاظ السريانية في المعاجم العربية)، وداود الجلبي صاحب (الآثار الآرامية في لغة الموصل العامية). وسنعرض لبعض الأمثلة في الفقرة التالية.

2.1.3. التأصيل الخيالي :

لقد مرَّ نموذج من التأصيل الخيالي في رسالة ابن كمال حين زعم أن لفظ (السياسة) معرّب (سه يسا) الملمعة من المغولية والتركية بمعنى التراتيب الثلاثة. وأنها من الدخيل في عصر المغول (القرن السابع الهجري)، وأنها حُملت وهماً على وزن عربيّ، فأصلها على ما زعم مركبة من كلمتين أولهما فارسية (سه = ثلاثة)، والأخرى تركية (يسا = التراتيب)، ثم ثقل على العامة أن يقولوا (سه يسا) فعربوها بتغيير الترتيب فقالوا (سياسة) وقربت في أذن السامع من البناء العربي الاشتقاقي.

ولا يخفى ما في هذا التحليل من تكلف ظاهر في التأويل والوهم لما ثبت لدينا أصالة مضريتها، وأنها

(75) السريانية بين اللغات العامية وفصيح العربية، ص 161، من كتاب دراسات عربية وإسلامية مهداة إلى إحسان عباس.

من مصدر عربي متصرف كما ورد في الجمهرة لابن دريد (321 هـ)، والصحاح للجوهري (393 هـ)، فضلاً عن الفارق الزمني بين عصريهما وعصر المغول.

وإني لأستغرب من ابن كمال كيف راح يتعقب أئمة اللغة ابتداءً من ابن دريد وانتهاءً بالفاضل الشريف، وسعد الدين التفتازاني، وقد قرن في الغالب بين الجوهري وصاحب القاموس ووصمهما بالغفلة تارة، والتوهم أخرى، والخطأ ثالثة. ورغم أننا وجدنا لما استدرك عليهما وجوهاً أخرى ـــ لا دفاعاً عنهما دون سند ـــ أقول: استغرب كيف سكت عن خطأ المتقدمين في تأصيل مثل: الاسطرلاب والاسفنط... ونحوهما.

فالفيروز أبادي ذكر (الاسطرلاب) في (ل وب) وزعم أن (لاب) اسم رجل فقال: «... ورجل سطّر أسطراً وبنى عليها حسابا، فقيل (أسْطُر ـــ لاب)، ثم مزجا ونُزعت الاضافة، فقيل الاسْطُرلاب، معرَّفةً، والاصْطُرلاب لتقدم السين على الطاء».

ولا يخفى ما في هذه الحكاية من تكلف التأويل، وغرابة التلفيق، وقد تنبه لذلك صاحب مفاتيح العلوم (ص 232 ـــ 233) فقال: «الأسطرلاب معناه مقياس النجوم وهو باليونانية: اصطرلابون، و (اصطر): هو النجم، و(لابون): هو المرآة، ومن ذلك قيل لعلم النجوم: اصطرنوميا، وقد يهذي بعض المولعين بالاشتقاقات في هذا الاسم بما لا معنى له، وهو أنهم يزعمون أن (لاب) اسم رجل، وأسطر جمع سطر، وهو الخط، وهذا اسم يوناني. في اشتقاقه من لسان العرب جهل وسخف».

ويقول الدرس اللغوي الحديث (المعجم الكبير 1 / 283): «أسطُرلاب (الاصل يوناني astrolabium =أسْتُرولابون): آلة فلكية كانت تستعمل قديما في رصد الأجرام السماوية، ثم أطلق الاسم على آلة كان يستعملها الملاحون في القرن الثامن عشر لقياس الزوايا».

أما في (الاسْفَنْط)، فقد أدرجها صاحب القاموس في (سفط)، فقال: «الاسْفنط: بالكسر، وتفتح الفاء: المطيب من عصير العنب، أو ضرب من الأشربة، أو أعلى الخمر. سُمِّيَتْ لأنّ الدنان تسفِطَنُها، أي: تشَرَّبَتْ أكثرها. أو من السفيط للطيِّب النفس».

وغني عن البيان إسراف صاحب القاموس في التأويل[76]، ومع ذلك سكت عنه ابن كمال. جاء في (المرجع للعلايلي ص 158): «إسْفِنط (دخيل من اليونانية أو اللاتينية)، الشراب الخليط من أصناف الخمر المطيبة، وهي بإزاء (كوكتيل) لفظ مولد حديث».

لقد تكلف المتقدمون في ردّ كثير من الألفاظ إلى أصولها، فقالوا في (عسكر) أو (معسكر) أنّه من (لشكر) الفارسية، وهو مجمع الجيش. وبعضهم قال إن أصلها من السريانية أو البابلية. ومثلها لفظة (زور) بمعنى قوة. و(ديوان)... وغيرها مما اتفقت فيه العربية مع السريانية أو العبرية أو الآرامية أو الحبشية. ولا عجب أن تتفق اللغات السامية وهي من أسرة لغوية واحدة في بعض موادها. ولا مانع أن تتوارد بعض اللغات السامية مع الهندية والآرامية في بعض المواد، فإن ذلك من قبيل توارد الخواطر. ولكن يظل الاستقراء والتتبع وتأييد الوضع من التاريخ الحضاري والمستوى الفكري هو السند المعوّل عليه في الحكم.

---

(76) ذكر الجوهري أنها فارسية، وانظر المعرب للجواليقي ص 66.

وعجيب أن ترى أن بعض اللغويين المحدثين يجنح إلى التأصيل الخيالي، ومن ذلك ما ألمعنا إليه في نهاية الفقرة السابقة من ذكر (إبراهيم السامرائي) لمصنفات من وصفهم أنهم (سلكوا مسلكاً غريباً مناقضاً للعلم في ادعاء سريانية قدر كبير...) وقد صنع الباحث معجماً صغيراً حصر فيه أوهامهم، وهاك نموذجاً منه :

قال في «(بودقة) Boudaqah» بوطة، إناء من خزف يذيب الصائغ فيه المعادن. وهو من (بوطا) السريانية. وهي بالفارسية (بوته)، ولما كان تمدن الأرمين سابقاً تمدن الفرس جاز لنا اعتبار هذه الكلمة آرامية. انتهى كلام المصنف.

أقول : الصحيح أن الكلمة من المعرّب الذي أخذ من الفارسية، والدليل على ذلك أن العرب ألحقوا القاف بعد فتحة التاء التي أبدل بها دال على طريقتهم في الدورق والجوسق وغيرهما»[77].

وقال في[78] «(بيدر) Bedar : يقال بالعربية للحصيد المركوم المُعَدّ للدرس (الأنرد) و(البيدر). فأما (أندر) فمن (أدر) السريانية، وأما (بيدر) فمن السزيانية (بيت ادرا) بإمالة الـــراء. وفي (التاج) : الأندر البيدر شامية.

أقول : إن «البيدر» من (بيت ادرا) واستخدام بيت يرد في أسماء المواضع والمدن في العراق وسورية ولبنان. وهذا يشير إلى أنها من الأسماء السريانية التي بقيت في العربية، مثل بعقوبا وباجسرا وبعشيقا وبخزاني وبقسايا وباصيدا وغيرها من المواضع العراقية، وبرمانا وبحمدون في لبنان».

أما أدى شير في (الألفاظ الفارسية ص 23) فيزعم أنها فارسية. وفي فلسطين لها مرادف آخر هو : الجرن. ومن طريف المصادفة أن (البيدر) في عامية مدينة الخبر من السعودية هو الماء العذب، وهي كلمة عامية معربة من الانجليز Boiling water، وقد كانت (أرامكو) تقوم بغلي الماء على سبيل تنقيته قبل توزيعه للشرب والطهو ثم شاع اللفظ وعمّ وصار يطلق على ماء الشرب، وفي هذا يقول الشاعر العامي[79] :

الله يجازيك يازمان

قالوا : ما في بلادنا،

ها لايام فقير...

الشرب بيدر، والسواحلي صار حرير.

وباحث آخر هو سليمان أبو غوش أغرب في التأصيل حين زعم أنّ العربية هي أصل اللغات والانجليزية بخاصّة. وقد أصدر كتابا باسم (عشرة آلاف كلمة انجليزية من أصل عربي) صدر في الكويت عام 1977م.

لقد أشفقت على الباحث إذ أمضى جهداً كبيراً في التماس ذرائع لدعاواه معتمدا على أدهى تشابه صوتي بين بعض الألفاظ العربية والانجليزية ورغم أنه مسبوق بهذا الاتجاه[80] إلاّ أن بحثه يعتبر أكبر حشد لطائفة الألفاظ التي استعارتها الانجليزية — على زعمه — منذ عهود موغلة في القدم لم يستطع أن يقدم سنداً ملموسا لها. ومن الأمثلة التي ساقها :

---

(77) السريانية بين اللغات العامية وفصيح العربية ص166، وقابل بألفاظ فؤاد حسنين علي حيث يقول ص20: «(بوطة) أو (بوتقه) أو(بودقة) : وعاء يذاب فيه المعدن. فارسي : بوتة بالآرامية : بوطة أو : بودقا العربية».

(78) السامرائي، المرجع السابق.

(79) عبد الرحمن رفيع، والرواية سماعية. وقد كتبت هذه الفقرة بالتشاور مع الأستاذ بكر عباس، رئيس قسم الترجمة بأرامكو 1986 م.

(80) انظر : جرجيس فتح الله، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المجلد الثالث1936، وللأستاذ أنيس المقدسي بحث حقق فيه مائة وأربعين كلمة عربية واردة في معاجم العربية. كما أن المستشرقة زيغرد هونكه في كتابها (شمس العرب تسطع على الغرب) قد صنعت ملحقاً ضم أكثر من مائتين وخمسين كلمة.

أوغر =	abhor،	كوم (ركم) =	accumulate
قاسي =	acid،	عقار =	acquire
غُدة =	adenoid,	الطوب =	adobe
أفاض =	affuse،	علاوة =	allowance
الطنبور =	altambour*،	بتل (بطل) =	battle
نصيب =	bonus،	خلق =	character
لغة متداولة =	dialect*،	هرطقة =	*Heretice
رفض =	refuse،	طبلية =	*Table

... وغيرها، وهاك مثالا من التحليل :

قال في (الطوب adobe) ص 150 : «وتعني الكلمة الانجليزية اللبن ــ بكسر الباء ــ أي الطوب المحروق بالشمس. وهو يستعمل للبناء ــ وكلمة (طوب) أصلها (طوف) بإبدال الفاء باء كما نقول نقف ونقب بنفس المعنى. وقد سمي (طوب) أو(طوف) لأنه يستعمل لبناء الحائط».

وقال في (الطنبور altambour) ص 162 : «وتعني الكلمة الانجليزية آلة موسيقية لها عنق طويل وأوتار. والميم مبدولة من النون. وتظن القواميس العربية أن الكلمة فارسية. غير أني أظن أنها عربية لدلالة لفظها على ذلك... فالطنب في اللغة العربية هو الحبل الطويل... والطنبور له عنق طويل وأوتار طويلة. والراء هنا زائدة... ولعلها صيغة لاحدى اللهجات القديمة ماتت أصولها».

وقال في (نصيب = bonus) ص 191 : «وتعني الكلمة الانجليزية مكافأة أو علاوة. والكلمة تحتوي على ثلاثة حروف صحيحة هي (ب ن س) والسين مبدولة من الصاد، وعند القلب تصبح (ن ص ب)، والنصيب في اللغة العربية فيها معاني الحصة والمكافأة والعلاوة».

وقال في (طبلية = table) ص 384 : «... والواقع أن حروف (ط ب ل) وقلبها (ب ل ط) وإبدال الطاء دالاً (ب ل د) وإبدال اللام سينا (ب س ط) في اللغة العربية كلها من كلمة واحدة وقد طرأ عليها إبدال وقلب مع تطور اللغة. والأصل في معني هذه الحروف الثلاثة هو التسطح... وأستطيع أن أستخرج العديد من الكلمات من هذه الحروف (ط ب ل) باستعمال قوانين القلب والابدال وزيادة الحروف. ووجود أسرة كبيرة لهذه الحروف دليل على أصلها العربي... ومنها في الانجليزية tableau بمعنى لوحة رسم، وtabular أي مسطح أو منبسط،.. وplatform... وغيرها».

وبعد ؛ فما الذي يمنعنا من الشك في صحة هذا التوجيه ما دام أن الباحث على امتداد دراسته لم يقدم لنا مرجعا واحدا معتمدا. أهو عمل مبتكر برمته أم إسراف في التوهم وتعمل في التأصيل. ثم إنه خلط بين الألفاظ العربية والمعربة. و لم يسند رؤيته اللغوية بسند من التاريخ الحضاري، أو بيان عوامل الاتصال بين اللغتين العربية والانجليزية بخاصة في الزمن القديم. بل إنه جعل عطاء العربية مستمرا في الحاضر في مثل (الغدة = adenoid) و(radio من ردّ ص 351) و(riot من ثورة ص 356) و(School من الصاقلة ص 363)... وغيرها كثير.

لقد عرضت نموذجا من ألفاظ (أبي غوش) على زملائي في الجامعة فلاقت رفضاً، فضلاً عن غموضها واختلاط الدلالة فيها. وعجيب منه أن يدّعي عربية بعض الألفاظ مع بينونة أعجميتها وذلك على نحو لفظة (الطنبور)، فقد جاء في (تاج العروس 12 / 438) : «(الطُّنْبُور)، بالضم، و(الطِّنْبار) بالكسر، معروف، فارسي معرب دخيل، أصله (دُنبة بَرّه) بضم الدال المهملة وسكون النون، وفتح الموحدة، وبرّه، بفتح الموحدة وتشديد الراء المفتوحة، (شُبه بأليَة الحَمل)، فدُنبه هي الأليَة، وبرّه : الحمل».

وعند (أدّى شير ص 113) : «من آلات الطرب ذو عنق طويل وستة أوتار معرّب تنبور، أصله دُنبه بَرّه، أي ألية الحمل سمي به على التشبيه» انتقل إلى اللغات الأوروبية عن الاسبانية tambor.

ولولا الاطالة لاسترسلنا في ردّ معظم ما ورد في هذا السفر والذي نحسب أن إهماله خير من التشهير به لولا مقتضيات البحث العلمي.

وباحث آخر من هذا الطراز أقرَّ ابتداءً أن عمله نوع من المغامرة اللغوية، هو (عبد الحق فاضل وكتابه مغامرات لغوية، توزيع دار العلم للملايين د.ت)، وكان قد نشر بعضاً من مقالات الكتاب في مجلة (اللسان العربي التي يصدرها مكتب تنسيق التعريب بالرباط) دعا فيها إلى اعتماد مصطلح (علم الترسيس القائم على تأثيل الألفاظ اللغوية مرادفاً لمصطلح التأصيل اللغوي Etymology زاعماً أنَّ العربية أصل اللغات الآرية أو الهندوأوروبية والساميات).

ولا تخلو محاولة (فاضل، عبد الحق) من جهد لغوي إذ وضع في اعتباره أهمية الدراسات اللغوية المقارنة إلاّ أن عمله ظل في إطار المبالغة التي تعوزها الشواهد اللغوية، مما أرجعه إلى ما وقع فيه أسلافه من المتقدمين الذين رأيناهم عندما كانوا يجهلون اللغة الأم التي انحدرت منها اللفظة يعمدون إلى تلمس أوهى الأسباب ليقيموا عليها قناعاتهم. بل أنه يعترف بمزالق هذا المنهج فيقول (ص 128) : «وليس يمكننا الآن بعد هذه الأحقاب الطوال أن نتعرف في لغة الجاهلية ـــ بل لغاتها ـــ على الكثير من أمثال الألفاظ العربية المتفرنجة التي مرت بنا، كما نفعل الآن مستعينين باللغات الأجنبية المعاصرة ومعاجمها اللغوية فنقول عن يقين أو شبه يقين أنها تطوَّرت كذا وكذا. ولكن فقدان المعاجم القديمة لا يمنعنا من المحاولة، باللجوء إلى الحدس والملاحظة والمقايسة والاستنتاج ـــ مع علمنا بما في ذلك من مزالق وتعرض للخطأ. **فعلى هذا سيكون بحثنا فيما يلي أشبه بالتقفي الذي يأخذ بالشُّبهة ويحكم بالظنة**، منه، بجمع الحقائق وتقرير الواقع».

لقد كفانا مؤنة التعليق وحسبنا أن نقول : الدليل إذا دخله الاحتمال سقط به الاستدلال.

ونكاد نخلص بعد هذه المقارنات للأمثلة التي تناولناها في باب التأصيل اللغوي أنه ليست هناك حقيقة مطلقة وصارمة، بل هي نسبية في معظمها... ويبقى التساؤل : ما موقفنا إزاء هذه الطائفة من الألفاظ المعربة التي دخلت متن اللغة وعلقتها الألسنة وانتهى بها المطاف إلى دلالات معينة، حتى أ ن العرب اشتقت منها ـــ أحياناً ـــ وتصرفت فيها ؟... أنتركها إذا ثبت لنا بالدرس المقارن خطأ ما توهمناه إزاءها ؟ !

أراني مسوقاً إلى الأخذ بموقف أنستاس الكرملي، فهو يقول (المساعد 1 / 115) : «... ولعلك تسأل هل يجوز أن ننبذ من الكلمة المعنى الذي نجده في دواوين اللغة العربية لنستعمل معناها أو معانيها الأصلية ؟... قلنا : كلا... لأنَّ الغاية من اللغة التواطؤ، فإذا كان الأقدمون اتفقوا على تعيين

هذا المعنى، كفانا وضعهم عن نبذه. إلاّ أنه يجوز لنا الرجوع إلى المعنى الأصلي إذ لا مانع يحول دون العود إلى مصدر الحقائق».

* * *

ولا يحسن أن ننهي هذا البحث دون الاشارة إلى ظاهرة اضطراب ترتيب مداخل المعجم العربي إذ إنها تَمُتُّ بصلة إلى ما قدمنا من أفكار.

والمعجم كتاب يجمع بين دفتيه ألفاظ اللغة ومفرداتها وتراكيبها والمعالم الحضارية فيها بغية شرحها وإيضاحها شريطة أن يرتب ترتيبا معيناً.

وصناعة المعجم تقوم على دعامتين أساسيتين هما : التعريف والتصنيف، وهما متلازمتان تؤثر الواحدة في الأخرى. والمعجم الأوروبي رغم حداثته النسبية لم يحد عن الترتيب الألفبائي alphabetical النطقي المطلق. وذلك لأن شخصية اللغات الأوروبية تتسم بالالصاق والنحت. والألفاظ فيها وحدات مستقلة، كل لفظ فيها يشكل مدخلاً مستقلاً.

أما المعجم العربي، وهو العريق في أسبقيته لكثير من معاجم اللغات الأخرى، فإن الترتيب فيه وإن تعددت مدارسه إنما يقوم على أساس من أن شخصية اللغة العربية تتسم بالاشتقاق والقياس وأن اللفظة فيها جزء من بناء متكامل بينها وبين الأصل وشائج وعرى لا تنفصم.

أما تعدد منهجيات ترتيب المداخل فيه فقد كان استجابة لتحقيق غايات معينة لم تخُل بالجوهر الأساس لطبيعة اللغة الاشتقاقية، وإنما كانت خدمة تعليمية لمستعملي المعجم.

فالترتيب الصوتي التقليبي نبع أصلاً من رغبة الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 171 هـ) في جمع اللغة وتدوينها درءاً لطروء ظاهرة اللحن، وتأكيداً على تعزيز صلة الأصوات العربية بتلاوة القرآن الكريم. وحقاً لقد استحق الخليل بن أحمد الفراهيدي ريادة المعجم العربي لأنه استطاع بنظرية ترتيب الحروف ترتيباً صوتياً وتقليب جذور اللغة موضعياً أن يستدعي ألفاظ اللغة العربية ويؤكد ثبات أصوات حروفها... ثم توالت مدارس المعجم العربي وإن ظلت عالة عليه إلاّ أن كلاً منها حاول أن يضيف جديداً.

فمدرسة القافية ورائدها أبو نصر اسماعيل الجوهري (ت 393 هـ) هدفت إلى تزويد المتأدبين والشعراء بالقوافي والأسجاع، ولم تخرج عن الترتيب الأصولي الاشتقاقي سوى اعتماد أواخر الأصول محوراً لترتيب المداخل ترتيباً ألفبائياً حقلياً.

أما مدرسة الترتيب الألفبائي الأصولي حسب أوائل اللفظ العربي ورائدها محمود بن عمر جارالله الزمخشري (ت 538 هـ)، فلقد سهلت على الدارسين استخدام المعجم، وسلكت ألفاظ اللغة في عقد منتظم الحلقات أساسه الأسر اللفظية التي تتجمع حول أصل اشتقاقي واحد.

ثم اننا قد نرى مدارس أخرى تجمع بين أكثر من منهجية، ولكل فيما يرى مذهب[81].

لقد حظيت مدرسة الترتيب الألفبائي حسب أوائل الأصول بالنصيب الأوفر من اهتمام المعجميين حتى أن الاتجاه الحديث اتجه لاعادة ترتيب المدارس الأخرى على طريقة (المصباح المنير وأساس البلاغة). ولكن مازالت الألفاظ المعربة والدخيلة مشكلة

(81) انظر : علي القاسمي في مقال له بمجلة اللسان العربي مجلد19 ج1، سنة1982، فقد عدد ثماني مدارس للمعجم العربي ص15.

يتصدى المعجميون لحلها، ذلك أن ادخالها متن اللغة واختلاطها بالأصول الاشتقاقية مدعاة للبلبلة والاضطراب يقول الطاهر الزاوي في مقدمة (ترتيب القاموس المحيط ص 4) : «ولطلاب العلم عذرهم في الانصراف عن مراجعته ــ قاموس الفيروز أبادي ــ إذ كيف يعلم طالب العلم أنَّ يوسف في (أ س ف)، وإسرائيل في (س را) وفيروز أباد في (ف ر ز)».

وفي الألفاظ المعربة التي تناولناها بالتحليل في هذا البحث وجدنا اضطراب مداخلها واختلاف نظام ترتيبها في المعجم بسبب محاولة إلحاقها بالأبنية العربية وتطورها الدلالي. أضف إلى ذلك عدم الاتفاق على نطق موحد لها وهو ما اصطلحوا على تسميته بتعدد اللغات(82)، قال الجواليقي : «وكذلك تجد العرب إذا وقع إليهم ما لم يكن من كلامهم تكلموا به بألفاظ مختلفة».

ومن ذلك :

عند عرضنا للفظ (الأطربون) رأينا تعدد لغاتها، واختلاف المعاجم في إدراجها، ولولا اعتمادنا على معجم المساعد لما استطعنا أن نقف على مفارقات وضعها في المصادر العربية لأن تجريدها يفضي حتما إلى تعدد احتمالات العثور عليها فهي في التاج في مادة (ط ر ب ن) وفي التهذيب في مادة (ذ م ر) وفي غيرهما في مادة (ط ر ب).

وتحت مادة (ب ر س) نجد في اللسان لفظ (النبراس)(*) على اعتبار النون زائدة، كما نجد (البرنساء) على اعتبار النون زائدة وليس هناك رابط معنوي بين (النبراس والبرنساء والبربس)، فالاول للمصباح، والثاني لابن الانسان. يقول محقق المعرب للجواليقي ص 388 في (النبراس) : «لم يذكر أحد غيره ــ الجواليقي ــ أنه معرّب. وقد ذكره ابن دريد في (باب ما جاء على فِعلان ونفعال) في الجمهرة (3 / 386). وذكره اللسان في فصل النون، وأشار إلى أنه ثلاثي، وذكره قبل في فصل الباء، وقال : (قال ابن سيده : وإنما قضينا بزيادة النون لأن بعضهم ذهب إلى أن اشتقاقه من (البِرسْ) الذي هو القطن، إذ الفتيلة في الأغلب إنما تكون من قطن) وذكره الأزهري في الرباعي، قال : (ويقال للسنان نبراس، وجمعه النَّبَارسُ)».

و(الآجر) : الطوب المشوي، فيه لغات، قال صاحب المعرب ص 69 : «وفيه لغات : آجُرّ، بالتشديد. وآجرُ، بالتخفيف. وآجُورٌ. وياجُورٌ. وآجُرُون. وآجِرون». وقد ذُكر في اللسان في مادة (أ ج ر).

و (الإسفنط) : الخمر المعتقة، فيه سبع لغات (المعرب للجواليقي ص 66) وذكر في أكثر من مادة : ففي اللسان ذكر في خمس مواد : (أصفد. أصفط. أسفط. اصفَعِند. سبظ) والمعروف أن اللسان ناقل عمن سبقه. وفي تاج العروس ذكر في مادتين : (سفط وصفط).

و(جبريل)، قال الجواليقي في المعرب (ص 161) إن فيه سبع لغات. وقد ذكره صاحب اللسان في ثلاث مواد : (جبر. جبرل. جبرن)، وقال في البحر المحيط 1 / 317 : «وقد تصرفت فيه العرب على عادتها في تغيير الأسماء الأعجمية حتى بلغت فيه إلى ثلاث عشرة لغة».

ومثل هذا كثير في المعربات والدخيل، وانظر إذا شئت مزيداً مداخل ولغات الطائفة التالية من الألفاظ : المنجنيق. رستاق. الطيلسان. العربون. الفالوذج. إبراهيم، بالاضافة إلى ما ذكرناه عند تحليلنا لهذه المعرّبات.

(82) المقصود باللغات هنا : النطق الصوتي، واختلاف طرائقه من حيث الترقيق والتفخيم وإبدال بعض الحروف وقلبها، والاضافة، والحذف... ونحوها.
(*) أورده أيضاً في(ن ب ر س).

وعلى أيّ حال، فلقد انتهى مجمع اللغة العربية بالقاهرة في انتهاج المزاوجة بين النظام الألفبائي الأصولي بحسب أوائل الألفاظ. والنظام الألفبائي النطقي المطلق لحل مشكلة إدراج الكلمات المعربة والدخيلة ــ وهي في ازدياد كما أوضحنا ــ فاعتبر كلمات : أسبرين وتلفون. ونيوترون. ونيون وأمثالها ــ كلّ حروفها أصولا ونجدها بحسب ترتيب حروفها لا تحت جذر معين. وقريب من هذا النهج صنع العلايلي معجم (المرجع)[83].

* * *

(83) انظر : الخطيب، أحمد شفيق. من قضايا المعجمية العربية المعاصرة (من محاضرات الندوة العلمية الدولية لجمعية المعجمية العربية بتونس ــ نيسان 1986 م)، ص 60.

رابعا : فهرس مصادر ومراجع القسم الثاني :

ـــ الأزهري، محمد بن أحمد (ت 370 هـ). **تهذيب اللغة**، تحقيق مجموعة من العلماء بإشراف الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر، 15ج (القاهرة الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر، 1964 ـــ 1967 م).

ـــ بكر، السيد يعقوب. **دراسات مقارنة في المعجم العربي** (بيروت : دار الأحد، 1970 م).

ـــ البيروني، أبو الريحان (ت 443 هـ). **كتاب الصيدنة**، تحقيق الحكيم محمد سعيد وران إحسان إلهي (كراتشي : نشر بمناسبة الاحتفال الدولي بمرور ألف عام على ولادة البيروني ـــ 1973 م).

ـــ التبريزي (الخطيب)، أبو زكريا يحي بن علي (ت 502 هـ). **تهذيب الألفاظ لابن السكيت**، نشر ضمن كتاب (كنز الحفاظ) بعناية لويس شيخو (ت 1927 م)، (بيروت : المطبعة الكاثوليكية، 1895 م).

ـــ التهانوي، محمد علي الفاروقي (ت 1158 هـ). **كشاف اصطلاحات الفنون** 2 ج (كلكتا ـــ الهند، 1861 م)، ويقوم لطفي عبد البديع بتحقيقه منذ سنة 1963 بإشراف وزارة الثقافة والارشاد القومي (القاهرة).

ـــ التونجي، محمد. **المعجم الذهبي «فارسي ـــ عربي»**، بيروت : دار العلم للملايين، ط 2، 1980 م).

ـــ الجزائري، طاهري بن صالح. **كتاب التقريب لأصول التعريب**، (القاهرة : المكتبة السلفية ، د. ت).

ـــ الجرجاني، علي بن محمد السيد الشريف (ت 816 هـ). **التعريفات**، (بيروت : مكتبة لبنان، 1978 م ـــ مصور عن الطبعة الأوروبية التي نشرها غوستاف فلوجل).

ـــ ابن جني، أبو الفتح عثمان (ت 392 هـ). **الخصائص**، تحقيق محمد علي النجّار، 3 ج (القاهرة : دار الكتب المصرية، 1952 ـــ 1956 م).

ـــ الجواليقي، أبو منصور موهوب بن أحمد بن محمد (ت 540 هـ). **المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم**، تحقيق أحمد محمد شاكر (القاهرة : دار الكتب بمصر، ط 2، 1389 هـ / 1969 م).

ـــ الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد (ت 393 هـ). **تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق أحمد عبد الغفور عطّار، 6 ج (بيروت : دار العلم للملايين ، ط 2، 1979 م).

ـــ حسن، عبد الحميد. **الألفاظ اللغوية : خصائصها وأنواعها**، (القاهرة : معهد البحوث والدراسات العربية، 1971 م).

ـــ الحمزاوي، محمد رشاد. **المنهجية العامة لترجمة المصطلحات**... (بيروت : دار الغرب الاسلامي، ط 1، 1986 م).

ـــ حسين، محمد كامل. **متنوعات**، 2 ج (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية، ط 2، د. ت).

ـــ الخطيب، أحمد شفيق. **من قضايا المعجمية العربية المعاصرة**. من محاضرات الندوة العلمية الدولية لجمعية المعجمية العربية بتونس : نيسان 1986 م)، (بيروت : مكتبة لبنان، 1986 م). **معجم المصطلحات العلمية والفنية والهندسية**، (بيروت : مكتبة لبنان، ط 4، 1977 م).

ـــ الخفاجي، أحمد شهاب الدين (ت 1069 هـ). **شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل**، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي (القاهرة : مكتبة الحرم الحسيني التجارية الكبرى، 1376 هـ / 1952 م) ثم طبعة القاهرة 1325 هـ بتصحيح محمد بدر الدين النعساني.

ـــ خليفة، عبد الكريم. **وسائل تطوير اللغة العربية العلمية** (عمان : منشورات اللجنة الأردنية للتعريب والترجمة، 1974 م).

ـــ الخوارزمي، محمد بن أحمد بن يوسف (ت 387 هـ). **مفاتيح العلوم**، تحقيق فان فلوتن (ليدن ـــ هولندا : 1895 م).
ـــ ابن دريد، محمد بن الحسن الأزدي (ت 321 هـ). **كتاب جمهرة اللغة** ، تحقيق كرنكو، 4 ج (حيدر أباد الدكن : 1345 هـ).
ـــ دوزي، رينهارت. **تكملة المعاجم العربية**، ترجمة محمد سليم النعيمي (بغداد : دار الرشيد، صدر منه خمسة أجزاء حتى سنة 1982 م).
ـــ الرازي، أبو حاتم أحمد بن حمدان (ت 322 هـ). **الزينة في الكلمات الاسلامية العربية**، تحقيق حسين بن فيض الله الهمداني، 2 ج (القاهرة : دار الكتاب العربي، ط 2، 1957 ـــ 1958 م).
ـــ الزبيدي، محمد مرتضى (ت 1205 هـ). **تاج العروس من شرح جواهر القاموس**، 10 ج (القاهرة : المطبعة الخيرية، 1306 ـــ 1307 هـ).
ـــ الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر. **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، 4 ج (القاهرة : مطبعة البابي الحلبي، 1392 هـ / 1972 م).
ـــ السامرائي، إبراهيم. **السريانية بين اللغات العامية وفصيح العربية**، نشر ضمن مجموعة دراسات عربية وإسلامية مهداة إلى إحسان عباس، تحرير وداد القاضي (بيروت : منشورات الجامعة الأمريكية بيروت، 1981 م). **فقه اللغة المقارن** (بيروت : دار العلم للملايين، 1968 م).
ـــ ستانغس F. Steingass، **المعجم الفارسي الانجليزي** (بيروت : أعادت نشره مكتبة لبنان عن طبعة لندن 1892 م).
ـــ سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان (ت 181 هـ). **الكتاب**، تحقيق عبد السلام هارون، 4 ج (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1397 هـ).
ـــ ابن سيده، علي بن إسماعيل. **المخصص**، أشرف على طبعه محمد عبده والشنقيطي، 6 ج (القاهرة : بولاق، 1316 ـــ 1321 هـ)، ثم هذبه حسين يوسف موسى وعبد الفتاح الصعيدي مع زيادات حديثه وألحقا به كشافات بالألفاظ مرتبة على حروف المعجم ـــ في كتاب : **اللافصاح في فقه اللغة**، 2 ج (القاهرة : دار الفكر العربي، ط 2، 1964 م).
ـــ ابن سينا، أبو علي الحسين بن عبد الله (ت 428 هـ). **رسالة أسباب حدوث الحروف**، تحقيق محمد حسان الطيان ومحمد يحيى مير علم (دمشق : مجمع اللغة العربية، ط 1، 1983 م).
ـــ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت 911 هـ). **المهذب فيما وقع في القرآن من المعرّب**، تحقيق عبد الله الجبوري ضمن (رسائل في الفقه واللغة)، (بيروت : دار الغرب الاسلامي، 1982 م). **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، تحقيق محمد أحمد جاد المولى وآخرين، 2 ج (القاهرة : عيسى البابي الحلبي، د. ت)
ـــ شاهين، عبد الصبور. **القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث**، (القاهرة : مكتبة الخانجي، 1966 م). **اللغة العربية لغة العلوم والتقنية**، (الدمام : دار الاصلاح، ط 1، 1983 م).
ـــ الشبيبي، محمد رضا. **أصول ألفاظ اللهجة العراقية** (بغداد : المجمع العلمي العراقي، 1376 هـ / 1956 م).
ـــ الشهابي، مصطفى. **معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية** (نواة المادة العربية في المعجم هي من وضع وتحقيق الأمير مصطفى الشهابي) إعداد أحمد شفيق الخطيب، (بيروت : مكتبة لبنان، ط 1، 1978 م). **المصطلحات العلمية في اللغة العربية**، (دمشق : مجمع اللغة العربية، 1965 م).
ـــ شير، أدى. **كتاب الألفاظ الفارسية المعربة**، (بيروت : المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، 1908 م).

ـــ الصالح، صبحي (ت 1986 م). **دراسات في فقه اللغة** (بيروت : دار العلم للملايين، ط 6، 1976 م).
ـــ ظاظا، حسن. **كلام العرب**، (بيروت : دار النهضة العربية، 1976 م)
ـــ عبد الرحيم، فانيا مبادي. **الدخيل في اللغة العربية ولهجاتها**، (المدينة المنورة : 1393 هـ / 1975 م).
ـــ عبد العزيز بنعبد الله. **التعريب ومستقبل اللغة العربية** (القاهرة : معهد البحوث والدراسات العربية، 1975 م).
المعاجم الحديثة والمتخصصة، مجلة اللسان العربي : مكتب تنسيق التعريب، (الرباط : مجلد 14، ج 1، 1976 م).
ـــ عبد الملك، بطرس وآخرون. **قاموس الكتاب المقدس**، (بيروت : مكتبة المشعل، ط 6، 1981م).
ـــ عطية، رشيد.**معجم عطية في العامي والدخيل**، (سان باولو، البرازيل : دار الطباعة والنشر العربية، 1944 م).
ـــ علي، فؤاد حسنين. **الدخيل في اللغة العربية** : فصلة من مجلة كلية الآداب؛ جامعة فؤاد الأول (القاهرة) المجلد الثاني عشر، الجزء الأول مايو 1950 م.
ـــ العنيسي، طوبيا. **تفسير الألفاظ الدخلية في اللغة العربية**، (القاهرة : دار العرب للبستاني، 1965 م).
ـــ عيسى، أحمد. **التهذيب في أصول التعريب** (القاهرة : مطبعة مصر، ط 1، 1342 هـ / 1923 م). **المحكم في أصول الكلمات العامية**، (القاهرة : مصطفي البابي الحلبي، ط 1، 1358 هـ / 1938 م). **معجم أسماء النبات**، (بيروت : دار الرائد العربي، ط 2، 1401 هـ / 1981 م).
ـــ أبو غوش، سليمان. **عشرة آلاف كلمة انجليزية من أصل عربي** (الكويت : ط 1، 1977 م).
ـــ فاضل، عبد الحق. **مغامرات لغوية**، (بيروت : دار العلم للملايين، د. ت)
ـــ الفارابي، إسحاق بن إبراهيم (ت 350 هـ). **ديوان الأدب**، تحقيق أحمد مختار عمر، 5 ج، (القاهرة : مجمع اللغة العربية بالقاهرة، 1974 ـــ 1979 م).
ـــ ابن فارس، أبوالحسن أحمد بن زكريا (ت 395 هـ). **الصاحبي في فقه اللغة**، تحقيق مصطفى الشويمي، (بيروت : مؤسسة بدران، 1963 م).
ـــ فتح الله جرجيس، **ألفاظ يونانية في اللغة العربية**، مجلة مجمع اللغة العربية (القاهرة : المجلد 3، سنة1936 م).
ـــ الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (817 هـ) **القاموس المحيط**، 4 ج، (القاهرة : مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط 2، 1952 م، وله طبعات أخرى).
ـــ القاسمي، علي. **المصطلحية (علم المصطلحات)**، مجلة اللسان العربي : مكتب تنسيق التعريب (الرباط : مجلد 18، ج 1، 1980 م). **ترتيب مداخل المعجم**، مجلة اللسان العربي : مكتب تنسيق التعريب (الرباط : مجلد 19، ج 1، 1982 م).
ـــ القلعه جي، محمد رواس وحامد صادق قنيبي. **معجم لغة الفقهاء**، (بيروت : دار النفائس، ط 1، 1405 هـ / 1985 م).
ـــ قنيبي، حامد صادق. **التطور الدلالي في لغة الفقهاء**، مجلة اللسان العربي : مكتب تنسيق التعريب (الرباط : مجلد 24، ج 1، 1985 م). **معجم المؤنثات السماعية : العربية والدخيلة**، (بيروت : دار النفائس، ط 1، 1407 هـ / 1987 م).
ـــ الكرملي، أنستاس. **المساعد**، تحقيق كوركيس عواد وعبد الحميد العلوجي ـــ صدر منه مجلدان ـــ (بغداد : وزارة الثقافة والاعلام، 1972 ـــ 1976 م). **نشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها**، (القاهرة : 1938 م).
ـــ الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني (ت 1094 هـ). **الكليات : معجم في المصطلحات والفروق**

اللغوية، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري، 2 ج (دمشق : وزارة الثقافة والارشاد القومي، ط 2، 1981 م).
ـــ المجمع العلمي العراقي. **مقدمة معجم مصطلحات الولادة**، (بغداد : مجلة المجمع، مجلد 17، سنة1967 م).
ـــ مجمع اللغة العربية الأردني. **ندوة توحيد منهجيات وضع المصطلح العلمي العربي**، (عمان : مجلة المجمع، عدد 11 ـــ 12، سنة 1981 م).
ـــ مجمع اللغةالعربية بالقاهرة. **مجموعة القرارات العلمية** من الدورة الأولى إلى الدورة الثامنة والعشرين، 1382 هـ / 1963 م. **معجم ألفاظ الحضارة الحديثة ومصطلحات الفنون**، (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1400 هـ / 1980 م). **المعجم الكبير**، (القاهرة : الجزء الأول، دار الكتب 1970 م، الجزء الثاني، الهيئة المصرية...، 1982 م). **المعجم الوسيط**، (القاهرة : دار المعارف، 1400 هـ / 1980 م).
ـــ المطرزي، أبو الفتح ناصر بن عبد السيد (ت 610 هـ). **المُغرب في ترتيب المعرب**، تحقيق محمود فاخوري وعبد الحميد مختار، 2 ج (حلب : مكتبة أسامة بن زيد، ط 1، 1979 م).
ـــ المغربي، عبد القادر. **الاشتقاق والتعريب**، (القاهرة : لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط 2، 1366 هـ / 1947 م).
ـــ مكتب تنسيق التعريب بالرباط. **المعجم الموحد للمصطلحات العلمية في مراحل التعليم العام ـــ معجم مصطلحات علم النبات**، (الرياض : قامت اللجنة الوطنية السعودية للتربية والثقافة والعلوم بتصويره بالاتفاق مع مكتب تنسيق التعريب، 1983 م).
ـــ ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين بن مكرم (ت 711 هـ). **لسان العرب**، 15 ج (بيروت : دار صادر، 1955 ـــ 1956 م).
ـــ نصار، حسين. **المعجم العربي : نشأته وتطوره**، 2 ج (القاهرة : دار الكتاب العربي، 1375 هـ / 1956 م).
ـــ أبو هلال، العسكري (ت 395 هـ). **التلخيص في أسماء الأشياء**، تحقيق عزة حسن، (دمشق : مجمع اللغة العربية، 1390 هـ / 1970 م).
ـــ هونكه، زيغريد Sigrid Hunke، **شمس العرب تسطع على الغرب**، نقله عن الألمانية فاروق بيضون وكمال دسوقي، (بيروت : دار الآفاق الجديدة، ط 7، 1402 هـ / 1982 م).
ـــ اليسوعي، رفائيل نخله. **غرائب اللغة العربية**، (بيروت : المطبعة الكاثوليكية، الطبعة الثانية المكملة، 1960 م).
ـــ يوسف، محمد. **معجم الألفاظ الهندية المعربة**. مجلة اللسان العربي (الرباط : مجلد10، سنة1973 م).

* * *